التعايش مع الآخر في الإسلام

ودور الأزهر في نشر الوسطية والتسامح

إعداد
أ. د/ أحلام إبـراهيم محمد الصياد
أستاذ العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة،
جامعة الأزهر

التعايش مع الآخر في الإسلام ودور الأزهر في نشر الوسطية والتسامح

أحلام إبراهيم محمد الصياد
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: @gmail.com١٥ahlam

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان موقف الإسلام من التعايش مع الآخر، من خلال تحليل الأسس والقواعد التي أرساها لتحقيق هذا التعايش بما يكفل العدالة والاحترام المتبادل، وبيان ما يترتب على كل طرف من حقوق وواجبات. كما يسعى إلى إبراز أسبقية الإسلام في وضع قواعد عادلة للتعايش، سبق بها الفكر الغربي بأكثر من ألف عام، مع استعراض صور تطبيقها في الواقع التاريخي للمجتمعات الإسلامية. ويتناول البحث أيضًا دور الأزهر الشريف في تبنّي هذا المنهج، وترسيخ قيم الوسطية، ونشر ثقافة التسامح، والمساهمة في تعزيز الأمن المجتمعي داخل مصر وخارجها. ويأتي هذا العمل ردًّا علميًا موضوعيًا على ما تروّجه بعض الخطابات الغربية من تصورات مغلوطة تصف الإسلام بالعنف والتعصب والكراهية.

اعتمدت الدراسة ثلاثة مناهج رئيسة: المنهج الاستقرائي، الذي بُنيت من خلاله الرؤية العامة لتصور الإسلام للتعايش عبر تتبع النصوص الشرعية والممارسات التاريخية؛ والمنهج التاريخي، لتتبع تجليات هذا التعايش في التجربة الإسلامية عبر العصور؛ والمنهج التحليلي، لاستخلاص الدلالات العقدية والاجتماعية والحضارية من هذه المادة، وتتكوّن بنية البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. تضمنت المقدمة أهمية الموضوع، وأهداف البحث، والمنهج المتبع. خُصص المبحث الأول لبيان تأسيس الإسلام لمبدأ التعايش السلمي مع غير المسلمين من خلال النصوص القطعية في القرآن والسنة. وتناول المبحث الثاني الأحكام الشرعية المنظمة للعلاقة مع غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية. وبيّن المبحث الثالث مفهوم الوسطية في الإسلام، وجهود الأزهر في تبنّي هذا المنهج والدعوة إليه. وناقش المبحث الرابع فلسفة التسامح في الخطاب الأزهري، مستعرضًا ملامحه عبر العصور وتأثيره في بناء علاقة متوازنة مع الآخر، وقد خلصت الدراسة إلى أنّ

الإسلام وضع أُسسًا واضحة للتعايش السلمي وقبول الآخر، وأكّد على كرامة الإنسان أياً كان دينه، وحدد الحقوق والواجبات بما يضمن تحقيق العدل وحفظ النسيج الاجتماعي. كما أظهرت الدراسة أنّ هذا التعايش مرتبط بالإيمان والانقياد لأوامر الله تعالى، ومراقبته في معاملة الناس بعدل ورحمة. وأثبتت كذلك أنّ الأزهر الشريف اضطلع بدور محوري في ترسيخ هذه القيم من خلال خطابه المعتدل ومناهجه العلمية وتأثيره في الداخل والخارج، وتوصي الدراسة بضرورة تعزيز الدور الأزهري في تقديم خطاب ديني أصيل، قادر على مواجهة حملات التشويه، ومؤهَّل لعرض النموذج الحضاري الإسلامي في التعامل مع التعدد الديني والثقافي، بما يسهم في ترسيخ السلم المجتمعي محليًا ودوليًا.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، التعايش، الآخر، الوسطية، الأزهر الشريف، التسامح.

Coexistence in Islam: Al-Azhar's Role in Advancing Moderation and Tolerance

Ahlam Ibrahim Mohamed El-Sayyad
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Mansoura – Al-Azhar University, Egypt.
Email: ahlam15@gmail.com

Abstract:

This paper examines the Islamic framework for coexistence, focusing on the ethical and legal foundations that promote justice, mutual respect, and shared responsibility. It argues that Islam articulated a coherent model of peaceful coexistence more than a millennium before similar ideas emerged in Western thought. The study traces how these principles were applied in Islamic societies across history, and highlights the role of al-Azhar as a key institution in preserving and promoting this tradition.

The research adopts a threefold methodology: an inductive reading of Islamic texts and historical practices; a historical approach to contextualize how coexistence unfolded in different periods; and analytical reflection on the theological and civilizational meanings embedded in this tradition.

The structure of the paper includes an introduction, four main chapters, and a conclusion. The first chapter outlines how foundational Islamic sources establish principles of peaceful coexistence. The second discusses legal rulings related to Muslim–non-Muslim relations within Islamic governance. The third explores the concept of moderation and documents al-Azhar's efforts to institutionalize it. The fourth analyzes al-Azhar's discourse on tolerance and its evolving role in shaping relations with religious and cultural others.

The study concludes that Islam offers a robust and principled model of coexistence grounded in faith, ethical obligation, and recognition of human dignity. It emphasizes that this model is not contingent on political context but rooted in enduring religious imperatives. It also finds that al-Azhar has played a vital role in articulating and preserving this vision through

education, public discourse, and scholarly leadership. The paper calls for strengthening al-Azhar's capacity to communicate this tradition effectively in a pluralistic and often polarized global environment.

Keywords: Islam, Coexistence, Religious Pluralism, Moderation, al-Azhar, Tolerance.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة

يسجل مفهوم التسامح حضوره في عمق التجربة البشرية، حيث عرفت الحضارات البشرية مفهوم التسامح وما يقابله من مفاهيم العنف والتعصب والعدوان، وقد تجلى هذا المفهوم في مختلف الآداب الفكرية، والأديان السماوية.

ويفتح التسامح آفاقا جديدا في فهم حقوق الآخرين، وواجباتهم تجاه غيرهم وعدم فرض قيود على الآخرين، فالتسامح له أهمية كبيرة للفرد والمجتمع على السواء، فعلى المستوى الفردي نجد الشخص المتسامح لديه إحساس بالرضا والطمأنينة، كما ينعم بعلاقات اجتماعية جيدة ويشعر بالسلام، مما ينعكس عليه بالإيجاب في جوانب العمل والإنتاج، وبالنسبة للمجتمعات يضع نهاية للحروب والصراعات، ومن ثم تنمو الحضارات وتزدهر، ويسود جو من الوئام والسلام، وتدعم الروابط بين الأفراد والجماعات، ويختفي التطرف والإرهاب، ومن ثم الانصراف إلى التعمير والبناء.

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم التسامح من المفاهيم الإنسانية والحضارية التي عمل الإسلام على إرسائها في المجتمع المسلم، فقد جاء الإسلام منهجا للحياة ومنظما للعلاقات فقدم تشريعات عديد توجه سلوك المسلمين وتضبط علاقتهم مع بعضهم ومع غير المسلمين كذلك، لقد بينت الشريعة الإسلامية العلاقة بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي ووضعت تشريعات هي بمثابة قوانين مستمدة من الكتاب والسنة وفتاوى الفقهاء.

والتسامح في الإسلام مبدأ أخلاقي، فالإسلام يدعو إلى التعايش السلمي وقبول الآخر، ويؤكد على التجاوب مع ثقافات الشعوب، والعيش المشترك، وهي منطلقات من قواعد كبرى واضحة في تعاليم الإسلام وعقيدته قرآنا وسنة وأثرا، كون السلام في الإسلام هو أصل العلاقات بين الأفراد والجماعات والدول.

وعند النظر والتأمل في تعاليم الدين الإسلامي، وتراتيبه القضائية والإدارية واستحضار مدارسه الفقهية والاجتماعية، واستلهام أدواره الحضارية والتنموية نجد أن المسلمين قد مارسوا التعايش مع أمم الأرض من أصحاب الديانات المختلفة

وفصلوا الأحكام والمذاهب في التعامل معهم، فالتاريخ الإسلامي سجل مدى حضور التعايش مع الآخر المختلف دينيا وفكريا ومذهبيا، وبين سمو الممارسة العملية للمسلمين في عصورهم الوضاءة مع المختلفين معهم، وبين حُسن تعاملهم وتعايشهم مع المُساكنين لهم من المخالفين دينا وعقيدة ومذهبا، وخير مثال لذلك والقدوة هو الرسول صلى الله عليه وسلم النبي الخاتم الذي ساكن اليهود في المدينة، ووادع المشركين السلميين، وراسل ملوك الأرض وقبل هداياهم واستقبل وفد النصارى من أهل نجران في مسجده، وزار ابن جاره اليهودي لما كان مريضا، وأكل من الشاة المسمومة التي دعته إليها اليهودية فقبل دعوتها، ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي، وحيث إن النبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة فالمسلم يقتدي بأفعاله صلى الله عليه وسلم بالتعايش والتسامح مع الآخر، ويفعل ذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم واحتسابا للأجر، بقصد إتمام العمران البشري وإحسانه، وتكثير خيره، وتقليل شره.

وتشير القرائن والأدلة القرآنية والتاريخية إلى أهمية منهج التعايش السلمي في الإسلام، وسعته في تقبل الاختلاف والتنوع واحترام الآخر، وصيانة حقوقه دون عدوان أو صراع، وإظهار رفض الإسلام لكل أشكال العنصرية بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو غيرها من المميزات غير الاختيارية، ويبين التصور الإسلامي رفضه لتسويغ العنف أو ممارسته ضد الآخر، فمبادئه ترتكز على تحقيق مبدأ التعايش السلمي مع الآخر، الإسلام بمبادئه العليا يكفل التعايش السلمي وقبول الآخر، ويشكل أساسا عادلا للمواطنين كافة.

الإسلام دين الوسطية، دين العدل، والاستقامة، والوسطية من أعظم خصائص المنهج الإسلامي، يقول تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾، والوسطية تعني عدم الإفراط وعدم التفريط، فلا غلو ولا تقصير، وإنما هي الوسطية في الأمور كلها، ومن ذلك الوسطية بين المادية والروحية، والواقعية والمثالية، والفردية والجماعية، فالوسط هو الفضيلة، وخير الأور أوسطها.

وقد قام الأزهر الشريف جامعا جامعة باعتباره حامل شريعة الإسلام الوسطي المعتدل بنشر ثقافة التسامح وقبول الآخر، فقام بتدريس العقيدة الوسطية الصحيحة، والفقه الذي اجتمع عليه جمهور العلماء من خلال المذاهب الفقهية

المعتمدة الموثوق في صحتها بالأدلة الشرعية والعقلية، وقد أكد على ذلك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حيث قال: "إن منهج الأزهر يرسخ في فكر طلابه ثقافة الحوار وشرعية الاختلاف، مما يحول بينه وبين نزعة الغلو وانغلاق الفكر وجموده على رأي واحد، ويدربه على احترام الرأي الآخر ويعلمه الفرق بين احترام المذهب وبين اعتقاده ". كل ذلك يجعله يتقبل الآخر ويتعايش معه تعايشا سلميا بل ويتسامح معه، مما ينشر الأمن والتسامح في المجتمع.

تقول السفيرة سامية بيبرس الوزير المفوض بجامعة الدول العربية، مدير إدارة حوار الحضارات: " إن للأزهر الشريف الدور البارز طيلة الفترة الماضية في معالجة القضايا المحلية والدولية وفي مقدمتها التطرف ونشر ثقافة التعايش السلمي من خلال العديد من المنافذ والقنوات والتي من بينها المؤتمر العالمي للسلام بحضور بابا الفاتيكان "، فالتسامح وقبول الآخر بين الشعوب في صدارة اهتمام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والمؤسسة الأزهرية على اتساعها التاريخي والجغرافي والأممي، مما يؤكد على رسالة الإسلام التي تحمل قيم السلام والتعايش والحوار ومحاربة التطرف وأثره السلبي على مستقبل المجتمعات كافة.

وقد جاء هذا البحث لإلقاء الضوء على دور الأزهر التاريخي في نشر الوسطية والتسامح، انطلاقا من تعاليم الإسلام التي يحملها الأزهر إلى العالم كله.

وقد تكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول: الإسلام يؤسس للتعايش السلمي مع غير المسلمين.
- المبحث الثاني: أحكام التعامل مع غير المسلمين في العالم الإسلامي.
- المبحث الثالث: الوسطية في الإسلام وتبني الأزهر لمنهج الوسطية.
- المبحث الرابع: فلسفة التسامح في الخطاب الديني للأزهر عبر العصور.

المبحث الأول

الإسلام يؤسس للتعايش السلمي مع غير المسلمين

الدين الإسلامي أساسه قائم على حسن المعاملة، فالمسلم مكلف من الله تعالى أن يلقى جميع الناس بالسماحة ويتعامل معهم بالمروءة والتعاون والكرم، والوفاء ،...

فالأخلاق الحسنة من الأهمية بمكان في المنظومة الشرعية الإسلامية، مما دفع المسلمين إلى الالتزام بها والعمل بمقتضاها، وذلك نتيجة للتعهد والتربية الإسلامية، والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله تعالى عن النبي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] هكذا عُظم شأن الأخلاق بوصف الرسول بالخلق العظيم، ودعوة المسلمين بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [2] وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن حسن الخُلق: " عليك بحسن الخُلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما" [3]، فالخُلق الحسن غاية الدين، وتظهر هذه الخُلق في المعاملة مع الآخر.

---

(١) سورة القلم، آية : ٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية : ٢١.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه عن أسامة بن شريك، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل الله له شفاء، رقم ٣٤٣٦ ،ج٢، ص ١١٣٧، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية، الرياض، ط٢، ١٤٠٤ هـ.

المطلب الأول

أسس التعامل بين الناس في الإسلام

الدين المعاملة، جملة لها ثقلها في واقع الناس وتعاملاتهم ،ولها نصيب في الشرع، والدين عبادات ومعاملات، والمعاملات سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية تعكس مستويات وأُطر التعامل بين الناس، وكثير من آيات القرآن تدور حولها، ولابد من ترجمة العقائد والعبادات إلى سلوك عملي، وعمل أخلاقي مفيد على أرض الواقع، لإسعاد العباد في المعاش والمعاد، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "حُرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس "[(١)].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن خياركم أحسنكم أخلاقا "[(٢)]، في هذا الحديث يبين الرسول أن خيار المسلمين هم من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم، أما من ساءت أخلاقهم وقبحت صفاتهم فأولئك الأشرار، وإن كانوا يُصلون، ويصومون ويحجون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجاراة، وحجهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء كرم الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام الخالص داعيا للصبر والكرم، والحج المبرور ينمي خلق الصبر وحسن العشرة والمعونة، فبرهان الصدق والإخلاص في العبادة هو كرم الأخلاق، وسوء الأخلاق هو آية على التقصير فيها. ومما يثمره حسن الخُلق في هذه الحياة، تيسير الأمور لصاحبه، وحب الخَلق له، وثناءهم عليه، ومعونتهم له، والابتعاد عن أذاه وقلة مشاكله في الحياة، واطمئنان نفسه، وطيب عيشه، ورضاء ربه أما الثمرة في الحياة الآخرة فجنة نعيم، وقرب من رب العالمين[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٣٩٣٨ ،ج٧، ص٥٣، مؤسسة قرطبة، مصر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو، كتاب الآداب، باب حسن الخلق والسخاء، تحقيق : مصطفى الديب البغا، رقم ٦٠٣٥ ج٨، ص١٣، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص١٢٥ وما بعدها، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٣ هـ.

عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار "[(١)].

فالمفلس ليس المتعارف عليه في دنيا الناس، لكنه الذي يأتي بالعبادات وقد أخفق في الأخلاق والمعاملات، ومما يؤكد ذلك حديث رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال :" قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يُذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قل: "هي في النار"، قال: يا رسول الله فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها، وصدقتها، وصلاتها، وإنها تَصَدَّقُ بالأَثوار من الأقِط [(٢)]، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في الجنة "[(٣)].

ومن أساسيات التعايش وفنون التعامل بين الناس، تصديق القول بالعمل، والسلوك العملي، فبه تتولد الثقة، وتمتد الجسور، وتتآلف النفوس، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [(٤)]، هاتان الآيتان توضحان الجانب الأصيل في شخصية المسلم، الصدق، والأمانة، والاستقامة، وأن يكون باطنه كظاهره، وأن يطابق فعله قوله، ولذلك ندد الله بالمنافقين في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [(٥)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨١، ج٤، ص١٩٩٧، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٩٦٧٥)، وابن حبان، رقم (٩٧١٣) باختلاف يسير.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٩٦٧٥، ج١٥ ص٤٢٢، وقال المحقق : إسناده صحيح، وقال الحاكم في المستدرج : هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : صحيح، رقم ٢٥٦٠، ج٢ ص٣٤٥.
(٤) سورة الصف، آية: ٢، ٣.
(٥) سورة البقرة، آية : ٢٠٤، ٢٠٥.

الإسلام يدعو المسلم إلى قبول الناس واستعابهم مما يعمل على كسب ودهم، وأن يزهد فيما عندهم، ولا يتطلع إلى أشيائهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [(١)]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس " [(٢)].

يدعو الإسلام إلى خدمة الناس وقضاء حوائجهم، يروي أبو ذر أنه قيل لرسول الله: "أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه ؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن"[(٣)].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متكأ ". ويقول أيضا :"ما رأيت رجلا أوليته معروفا إلا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلا أوليته سوءا إلا أظلم ما بيني وبينه" [(٤)].

وقالت السيدة خديجة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم: " كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر "، فاستدلت بمحاسن النبي صلى الله عليه وسلم على حسن العواقب، وكرم البداية على جلال النهاية.[(٥)]

وقد وضع الإسلام أسسا للتعامل فيما بين المسلمين وبعضهم البعض، وكذلك بين المسلم والآخر غير المسلم، فوضع دعائم للعلاقات الإنسانية.

---

(١) سورة طه، آية : ١٣١.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (٥٩٧٢)، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، رقم ٢٦٤٢ ،ج٤، ص٢٠٣٤، دار التراث العربي.

(٤) عيون الأخبار، ابن قتيبة، ج٣، ص١٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

(٥) لا تحزن، عائض القرني، ص ٣٠٢، مكتبة العبيكان، مكتبة ابن حزم، ١٤٣٤ هـ.

من أهم دعائم العلاقات الإنسانية في الإسلام ما يلي :

١- الوحدة الإنسانية :

الناس جميعا من أصل واحد، لا فرق بينهم ولا تفاضل لا بالجنس، ولا باللون، ولا اللغة، فالكل أبناء آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [١]، ويقول تعالى أيضا مؤكدا الأصل الواحد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [٢].

وكما أن الأصل واحد فكذلك المصير واحد، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [٣].

فالوحدة الإنسانية من الأسس التي تقوم عليها العلاقات بين البشر في الإسلام سواء كانت علاقات فردية أو جماعية، فارتباط الإنسانية من حيث المبدأ والمصير، وعدم التفرقة العنصرية بين البشر أساس من الأسس التي أكدها الإسلام.

٢ - الكرامة الإنسانية :

كرم الله الإنسان بوصفه إنسان، وليس لأمر الآخر كالجنس، أو اللون، أو الغنى والفقر، أو غير ذلك، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا ﴾ [٤] ومما يدل على تكريم الإنسان بصفة عامة دون تميز أمر الله للملائكة بالسجود لآدم أبو البشر جميعا، وأثبت ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

(١) سورة البقرة، آية : ٢١٣.
(٢) سورة النساء، آية : ١.
(٣) سورة الحج، آية : ٥.
(٤) سورة الإسراء، آية : ٧٠.

لِآدَمَ﴾ ومما يدل على كرامة الإنسان في الإسلام هو تسخير الكون كله للإنسان، وأن الإنسان الواحد يساوي البشرية جميعا حتى يستوي حقه في الحياة، كما قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [(١)]، جاء في تفسير هذه الآية: " هذا بيان أن قتل النفس بغير حق جُرم فظيع، كفظاعة قتل الناس كلهم، والمقصود من الإخبار بما كُتب على بني إسرائيل بيان للمسلمين أن حُكم القصاص شرع سابق ومراد لله قديم "[(٢)]، وما القصاص إلا دفاعا عن الإنسان وحياته، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ومن أبرز دلائل تكريم الإنسان استخلاف الله له في الأرض، والاصطفاء من الإنسان رسلا وأنبياء، وهذه الكرامة توجب للإنسان حق الاحترام، ويؤكد على ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله: "أن جنازة مرت على النبي صلى الله عليه وسلم فقام لها واقفا، فقيل له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسا ".[(٣)]

٣ - الأخوة الإنسانية:

جاء في القرآن الكريم أن البشر جميعا أخوة لا يتفاضلون إلا بالإيمان والعمل الصالح، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [(٤)]، تؤكد الآية وحدة الأخوة الإنسانية التي تجمع بين البشر جميعا، بالرغم من التعدد والتنوع الذي أرساه الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) سورة المائدة، آية : ٣٢.
(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور، ج٦، ص١٧٨، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، ج١، ص٢٦٩، وصحيح مسلم، باب القيام للجنائز، ج٢، ص٦٦١.
(٤) سورة الحجرات، أية : ١٣.

وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (١)، فبالرغم من أن سنة الله التعدد والتنوع إلا أنه تعالى جعل وحدة الأصل الإنساني والأخوة الإنسانية تجمع البشر في ظل هذا التعدد والتنوع، فالبشرية تنتمي إلى أصل واحد يتساوون في الخلقة، ويشتركون في الاستفادة من خيرات الكون وثروات الطبيعة، التي جعلها الله تعالى تحت تصرف الجميع دون تمييز، يقول تعالى: (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ)(٢)، إن الالتفات لهذه المنهجية القرآنية يربي الإنسان المسلم على النظر إلى جميع البشر كأشقاء له في الإنسانية، وشركاء معه في الحياة، مما يؤسس لعلاقة إنسانية إيجابية.

في الإسلام كل الناس متساوون في الحقوق والواجبات، وتأسيسا على هذا المبدأ ينهض المجتمع ويتقدم لأن كل فرد يشعر بالمساواة مع الآخر ولا يتمايز عنه إلا بمقدار تقواه، وما يقوم به من عمل صالح نافع للفرد والمجتمع، فالشريعة الإسلامية تسوي بين الجميع في الحقوق والواجبات.

٤- التعاون الإنساني :

لا يستطيع إنسان أن يقوم بكل ما يحتاجه بنفسه، فلابد أن يستعين بغيره كما يستعين به غيره، فالإنسان جزء من البيئة والمجتمع يؤثر ويتأثر ويتفاعل مع غيره كما يتفاعل معه غيره، لأن الإنسان مدني بطبعه، ومادام الناس ينتمون إلى أصل واحد، فذلك أدعى للتعاون، واختلاف الناس شعوبا وقبائل لم يكن ليتصارعوا ويُفني بعضهم بعضا، ولكن ليتعارفوا والتعارف لا يكون إلا بالتفاعل الإيجابي ولا يثمر ذلك إلا بالتعاون في شتى مجالات الحياة مما من شأنه أن يدفع عجلة الحياة إلى التقدم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣).

فالأفراد كل واحد يكمل ما ليس لدى الآخر، وكذلك المجتمعات حتى يكونوا وحدة متكاملة متعاونة على البر والتقوى، يقول تعالى: ﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ

(١) سورة الروم، آية : ٢٢.
(٢) سورة الرحمن، آية : ١٠.
(٣) سورة الحجرات، آية : ١٣.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [١]، فالتعاون هو قوام الحياة الإنسانية سواء أكان فردا أو جماعة، مما يعمل على التقدم والرفاهية في مجالات الحياة المختلفة إذا كان التعاون قائم على البر والتقوى.

٥_ التسامح والمعاملة بالحسنى :

الإسلام يدعو إلى التسامح مع الناس كافة، يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [٢]، فالإسلام يأمر المسلمين بالتعامل مع الآخرين بالحسنى مما يعمل على الألفة والمحبة، يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [٣]، فالإسلام قدم القول الحسن للناس عموما على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولا يفرق الإسلام في التعامل الحسن بين المسلم وغير المسلم، مبدأ التسامح والمودة والمعاملة الحسنة بلغ في الإسلام أعلى الدرجات، حتى جعل دفع العداوة بالتي هي أحسن تؤدي إلى المحبة والود، يقول تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٤]وهو أمر من الله سبحانه وتعالى بدفع السيئة إذا جاءتك من المسيء بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات، والنتيجة المترتبة على ذلك والفائدة المرجوة بالدفع بالتي هي أحسن أن يصير من كان عدوا له كالصديق والبعيد كالقريب، والله عز وجل أمر نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم أن يصفح الصفح الجميل في قوله تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ [٥]، وهو أمر من الله تعالى بالتجاوز والعفو الحسن وفي هذا ما فيه من العفو والتسامح.

ويقول عز وجل في ذلك أيضا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [٦]، تبين الآية أنه يجب على المسلم أن يصفح، ويتنزه عن مجادلة

(١) سورة المائدة، آية : ٢.
(٢) سورة الإسراء، آية :٥٣.
(٣) سورة البقرة، آية : ٨٣.
(٤) سورة فصلت، آية : ٣٤.
(٥) سورة الحجر، آية :٨٥.
(٦) سورة الأعراف، آية : ١٩٩.

الجاهلين وأهل الظلم، وأن يتحلى بالأخلاق الحميدة في معاملة الغير، فإذا كان هناك ما يوجب العقاب فالعقاب يكون على قدر الذنب ولا يتجاوزه بل التسامح فيه على من يقدر علي التسامح والعفو في هذه الحالة أولى، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (١).

ضرب الإسلام المثل الأعلى في التسامح وحسن المعاملة مع أهل الذمة(٢)، فتركهم وما يدينون، ولم يلحق بهم أي اضطهاد، فالرسول صلى الله عليه وسلم أرسى قواعد التسامح الديني، فجاء في عهده لأهل نجران: " ولنجران جوار وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهنته وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية "(٣).

ويتجلى التسامح في أجل مظاهره حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسليم صحائف متعددة من التوراة ليهود خيبر وكانت مما غنمه المسلمون في غزوة خيبر.(٤)

كذلك يتجلى التسامح يوم فتح مكة عندما تسامح النبي مع من آذوه وأخرجوه هو أصحابه من ديارهم، فقد قال لهم: " ما تظنون أني فاعل بكم ؟ " قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم الرسول السمح الكريم: " أقول لكم ما قاله أخي يوسف لإخوته ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ

(١) سورة النحل، آية : ١٢٦.
(٢) أهل الذمة : هم رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين، والذين تعاقدوا مع المسلمين على إعطاء الجزية والالتزام بشروط معينة في مقابل بقائهم على دينهم وتوفير الأمن والحماية لهم. (الموسوعة الفقهية الكويتية، تأليف مجموعة من العلماء، ج١٩، ص٥٧، الكويت : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية، بتصرف.
(٣) العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، تأليف لجنة من أساتذة الشريعة والقانون جامعة الأزهر، ص٢٧، سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.
(٤) المصدر السابق، ص٢٧.

﴿الرَّاحِمِينَ﴾.[1] التسامح هو سياسة النبي التي رسمها في العلاقة بين الناس بعضهم وبعض، ولذلك اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم بالتسامح، ومن ذلك أن أحد ملوك المغول المسلمين وهو " أوزيك خان " أعطى عهدا للمطران " بطرس" ضمن له حرية دينية كاملة مما جعل البابا يوحنا الثاني والعشرين سنة ١٣١٨ م أن يبعث رسالة شكر وتقدير للأمير المسلم على هذه الروح العالية، بل إن أهل روسيا نعموا بهذا التسامح زهاء قرنين من الزمان في ظل ملوك المغول المسلمين.

كذلك كان أهل تركيا غير المسلمين يتمتعون بكامل حريتهم الدينية انطلاقا مما دعت إليه الشريعة الإسلامية، ، ومما يدل على ذلك ما أصدره أحد السلاطين العثمانيين سنة ١٨٣٦ م حيث أصدر مرسومين :

الأول: قد جاء فيه " قد صدر هذا التصريح تبعا لأصول الشريعة ويقضي بالمساواة في الحرية الدينية لكل المواطنين في تركيا، الذين يتبعون أصول الديانات الثلاثة "

الثاني: فقد ورد فيه " ولكي تستطيع كل جماعة دينية أن تمارس في حرية كاملة تعاليم دينها، دون تدخل نصرح بأن لكل مواطن أن يعبد الله تبعا لأوامر دينه وألا يجبر أي شخص على ترك دينه ومعتقده "[2].

التسامح الديني لدى المسلمين وتطبيقهم له على مدى العصور المتعاقبة، لاريب أنه أساس من الأسس التي تسهم في بناء العلاقات الإنسانية وتبعث الاطمئنان والارتياح في النفوس، وتنشر الأمان.

٦- الحرية :

الحرية ثمرة من ثمرات التعارف الإسلامي الذي دعا إليه القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا قبائل لتعارفوا**﴾ والتعارف الحقيقي لا يكون إلا بين الأحرار، فلا يكون بين سيد وعبد، ولا بين مسيطر ومقهور، بل يكون بين أحرار على قدم المساواة، ولا تكون المساواة إلا على أساس التعادل في الحقيقة [3].

(١) سورة يوسف، آية : ٩٢.
(٢) العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، ص ٢٨.
(٣) راجع لعلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، ص٢٠، دار الفكر العربي،

والحرية الحقيقية أن يُقدر الحر الحرية في غيره، كما يُقدرها في نفسه، والحرية سيادة الإنسان على نفسه، وهي معنى اجتماعي يظهر في علاقة الإنسان بغيره، ومراعاته لحقوق غيره كما يراعي حقوق نفسه، وقد احترم الإسلام في العلاقات الإنسانية حرية العقيدة احتراما كاملا، ومنع الإكراه على اعتناق الدين، قال تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١)، وقال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

فالإسلام لا يكره أحد على الدخول فيه، والعمل لا يثاب عليه إلا إذا كان مقرونا بالنية، والنية محلها القلب، ومن ثم فلا إكراه في الدين، فقد عمل الإسلام على حماية عقائد الذين يستظلون بظله، أو يعقدون معه عهدا، أو لا يثيرون عليه حربا، بل إنه سهل لهم القيام بشعائرهم الدينية، ويذكر الشيخ أبو زهرة أن الفقهاء استنبطوا من نصوص قرآنية ومن السنة النبوية، ومن أعمال الصحابة قاعدة تقول: " أمرنا بتركهم وما يدينون " وبهذه العقيدة المجمع عليها من الفقهاء حُميت حرية العقيدة، فلا يضار غير المسلم، بل يقيم شعائره الدينية حرا غير مضطرب.

ويُروى في ذلك أن عمر بن الخطاب عندما ذهب إلى بيت المقدس رأى _ رضي الله عنه _ هيكلا لليهود قد ستره التراب، ولم يبق منه إلا أعلاه فجاء بفضل ثوبه، وحمل بعض التراب المتراكم عليه ليزيله فاقتدى به بعض المسلمين، فما زال كل ماستر الهيكل وبدا واضحا ليقيم اليهود عنده شعائرهم.

وفي هذه الرحلة المباركة حضر وقت الصلاة، وعمر قريب من الكنيسة، فصلى خارجها، فقيل له: ألا تجوز الصلاة فيها ؟ فقال الإمام الحر :خشيت أن أصلي فيها فيزيلها المسلمون من بعدي، ويتخذها مسجدا ".(٣)

ويروي أن والي مصر على عهد عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد كتب إليه يخبره بإقبال المصريين على الإسلام، والتناقص الواضح في إيراد الجزية نتيجة

=

٢٠١٧ م.

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٢) سورة يونس، آية : ٩٩.

(٣) العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ محمد أبو زهرة، ص٢٢٢٣.

ذلك، فكتب إليه الخليفة يقول قبح الله رأيك إن الله ما بعث محمدا جابيا ولكن بعثه هاديا.[١]

الإسلام يترك للإنسان الحرية في الاعتقاد لا يكرهه على اتباعه، والإيمان به، وإنما عماده الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، يقول تعالي : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٢]

فكانت الدعوة إلى الإسلام سبيلها السلام، فحينما أراد الرسول أن يبلغ الدعوة إلى الدول المجاورة أرسل إليهم الرسول داعيا لهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، ولم يدخل مع هذه الدول المجاورة في حرب إلا عندما اعتدوا على من أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقتلوهم، كما فعل الغساسنة بالشام قتلوا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، مخالفين بذلك كل قواعد الخلق والكرامة، فكان لابد من حربهم وقد كان. وكما فعل الفرس حين أرسل إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فأهانوا مبعوث الرسول واحتقروه، وأرسل كسرى إلى عامله باليمن يطلب منه توجيه قوة لقتل محمد مخالفين بذلك كل القواعد لحماية الرسل، فكان لابد من حربهم ومزق الله ملكهم شر ممزق على أيدي المسلمين.

أما من أكرموا الرسل ولم يتعرضوا لهم بأذى فإن دولة الإسلام لم تتعرض لهم سواء آمنوا أم لم يؤمنوا كما حدث بالنسبة للحبشة، فإنها لم تتعرض للرسل ولا المسلمين بشر.

أما الشعوب والدول التي دخلت في عهد المسلمين فلم يتعرض لهم المسلمون بأذى بل تركوهم وما يدينون.[٣]

وإذا كان الإسلام لا يكره إنسانا على اعتناق الدين الإسلامي، ويعطي كل شخص من غير المسلمين الحرية التامة في البقاء على دينه، فإنه مع ذلك يضمن

(١) العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، ص٣٠.
(٢) سورة النحل، آية : ١٢٥.
(٣) العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، ص٣١.

للجميع حقوقهم وحريتهم التامة، فقد حرم الإسلام الاعتداء على حرية غير المسلمين، وحرم إخراجهم من ديارهم ما داموا لا يعتدون على المسلمين.

المطلب الثاني

قيم الإسلام تؤسس للتعايش مع الآخر

الإسلام يحمل قيما عظيمة تنظم جميع شئون الحياة، وتجعلها حياة مستقيمة سوية، من هذه القيم ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية يبين قيم التعامل مع الآخر، والدعوة للتعايش السلمي والحوار معه.

من أهم هذه القيم ما يلي :

١- الإسلام دعوة إلى العدل :

يمثل العدل إحدى القيم المنبثقة من العقيدة الإسلامية، لأفراد المجتمع الحق فينعموا بالعدالة والاطمئنان وذلك انطلاقا مما جاء في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [(١)] ومصطلح العدل يعني الإنصاف والمساواة، فهو ضد الجور[(٢)] في إعطاء الحقوق والالتزام بالواجبات، دون تفرقة لأي سبب من الأسباب، سواء كان دينيا أو جنسيا أو لونا، وكلمة العدل تعني الوسط، لذلك كان اسم الوسط يستعمل في كلام العرب مرادفا لمعنى العدل، فالوسط من الناحية اللغوية يعني العدل والخير والأفضل والأجود والأشرف، قال صاحب لسان العرب: "أوسط الشيء أفضله وخياره وأعدله "[(٣)]. ولذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [(٤)] ، أي " عدلا، والوسط هو العدل ".[(٥)]

والعدل في الإسلام لا يتأثر بحب أو ببغض، فلا فرق بين مسلم وغير مسلم، كما لا فرق بسبب حَسَب ونَسَب، ولا بسبب جاه ومال، بل يتمتع بالعدل جميع أفراد المجتمع الإسلامي سواء منهم المسلمين وغير المسلمين، مهما كان بين هؤلاء وأولئك

(١) سورة النساء، آية : ٥٨.

(٢) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق : محمود خاطر، ص١٧٦، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٧، ص٤٢٧٤٢٨، ط١، دار صابر، بيروت.

(٤) سورة البقرة، آية :١٤٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، صححه : الشيخ هشام سمير البخاري، ج٢، ص١٥٣، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م.

من مودة أو شنآن، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١)، اللّه سبحانه وتعالى يأمر المسلمين بألا تحملهم عداوة قوم على ألا يعدلوا، فالعدل في الإسلام هو ميزان اللّه في الأرض، به يُؤخذ للضعيف حقه، ويُنصف للمظلوم ممن ظلمه، وأبواب السماء مفتوحة أمام الإمام العادل وأمام المظلوم على السواء، يقول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: " ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها اللّه دون الغمام يوم القيامة ويفتح لها أبواب السماء، ويقول: "بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين ".(٢)

وتتضح أهمية العدل في الإسلام في كونه صفة من صفات اللّه تعالى، وقد حرص الإسلام علي إرساء العدل في المجتمع لأهميته في حياة المجتمع، باعتباره أهم الدعائم التي يقوم عليها كل مجتمع صالح، والعدل في الإسلام مبدأ يمتد لجميع مظاهر الحياة، فهو يشمل جميع الأحكام والمعاملات سواء في حال السلم أو في حال الحرب، ويأمر اللّه عز وجل بالعدل حتى ولو كان الخصوم كفارا، يقول تعالى: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٣). ويأمر اللّه عز وجل بالعدل حتى مع المشركين، يقول تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (٤)، قد وردت نصوص عديدة في القرآن الكريم تأمر بالعدل منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (٥)، ويقول تعالى أيضا: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (٦). وينهى الإسلام عن الظلم بشتى صورة، سواء كان ظلما للنفس، أو ظلما اجتماعيا واقعا على الفرد أو الجماعة، يقول

(١) سورة المائدة، آية : ٨.
(٢) أخرجه أحمد، حديث رقم ٩٧٤١، ج٢، ص٤٤٥، والترمذي، حديث رقم ٣٥٩٨، ج٥، ص٥٧٨، وقال حديث حسن، دار الكتب العلمية.
(٣) سورة المائدة، آية : ٤٢.
(٤) سورة البقرة، آية : ١٩٤.
(٥) سورة النحل، آية : ٩٠.
(٦) سورة الأعراف، آية : ٢٩.

تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [(١)]، وجاء في الحديث القدسي :" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " [(٢)].

فالعدل الذي جاءت به الشريعة الإسلامية عدل مطلق تسعد به البشرية في شتى مجالات الحياة، يقول ابن القيم عن الشريعة الإسلامية: " وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلي العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل بين العباد، ورحمة بين الخلق "[(٣)].

فالعدالة في الإسلام عدالة مطلقة لا تعرف التفرقة ولا المحاباة، يستوي أمامها الشريف والوضيع، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والمسلم وغيره.

روي عن عائشة - رضي الله عنها - أن امرأة مخزومية [(٤)]سرقت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم غير حبه أسامة بن زيد ؟ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها، فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أتشفع في حد من حدود الله ؟ فقال له أسامة: استغفر الله يا رسول الله، فلما كان العشي قام النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: " أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "[(٥)].

---

(١) سورة الأنعام، آية :١٤٤.

(٢) الحديث رواه أبو ذر، أخرجه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث " ٣٨٤٤".

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، المحقق : عامر الجزار أنور الباز، ج٢٨، ص١٤٦، الناشر دار الوفاء، ٢٠٠٨ م.

(٤) هي فاطمة بنت الأسود بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وقبيلة بني مخزوم وبني عبد مناف هما أشرف بيوت قريش.

(٥) شرح النووي على مسلم، كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، ج١١، ص ٣٣٥.

واتبع الخلفاء الراشدون نهج النبي صلى الله عليه وسلم في تحقيق العدالة، فأبو بكر- رضى الله عنه -يقول في خطبته: "أيها الناس :... والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه " [١].

وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول في خطبته: " أيها الناس إنه والله ما فيكم أحد أقوي عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه " [٢].

وقد طبق الخلفاء الراشدون العدل على الجميع دون تفرقة أو محاباة لأحد على حساب الآخر، من ذلك ما حدث من عمر حينما ضرب ابن عمرو بن العاص - والي مصر آنذاك - المصري، فشكاه المصري إلى عمر بن الخطاب وقال له: يا أمير المؤمنين إن هذا - وأشار إلى ابن عمرو بن العاص - ضربني ظلما ولما توعدته بأن أشكوه إليك، قال: اذهب فأنا ابن الأكرمين، فنظر عمر إلى عمرو وقال له: بما استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟، ثم قال للمصري: اضرب ابن الأكرمين كما ضربك، فاقتص المصري لنفسه[٣].

وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يكتب إلى واليه على مصر مالك بن الحارث الأشتر يقول: أملك هواك وأشعر قلبك الرحمة بالرعية، والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا يغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما إخ في الدين، أو نظير لك في الخلق، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيه الله لك من عفوه وصفحه، وإياك ومساواة الله في عظمته.

ومما يدل على عمق تعاليم الإسلام في نفوس المسلمين ما روي أن يهوديا شكا عليا بن أبي طالب -رضي الله عنه - إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافة عمر، فلما مثلا بين يدي الخليفة، خاطب عمر اليهودي باسمه بينما خاطب عليا بكنيته، فقال له: يا أبا الحسن - حسب عادته في خطابه معه - فظهرت

(١) العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، ص٣٦.
(٢) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، الناشر دار الفكر العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.
(٣) راجع كتاب أخبار عمر، للشيخ علي الطنطاوي، ص ١٤٥، ط٨، بيروت، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

آثار الغضب على وجه علي، فقال له عمر: أكرهت أن يكون خصمك يهوديا، وأن تمثل معه أمام القضاء ؟ فقال: لا ولكنني غضبت لأنك لم تسو بيني وبينه، خاطبته باسمه وخاطبتني بكنيتي.(١)

هذه هي العدالة والمساواة التي جعلت الناس يدخلون في دين الله أفواجا في سائر أرجاء الأرض.

٢ - الإسلام دعوة للسلام :

يشكل السلام أحد المكونات الأساسية في الرؤية الإسلامية للعلاقات الاجتماعية، فالإسلام بتشريعاته قائم على اعتبار العلاقات بين الأفراد والجماعات هي علاقات إنسانية، تستند إلى المحبة والتواصل، وعلى نشر الأمن والسلام في المجتمع.

وقد ورد مصطلح السلم في القرآن الكريم في آيات متعددة، كلها دعوة إلى نشر الأمن والأخوة والسلام، وتربية النفوس على دوافع الخير، وتدعيم أسس الأمن والطمأنينة داخل المجتمع.

وقد وردت لفظة " السلم " في القرآن الكريم باشتقاقات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢)، يقول ابن كثير: " يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عُرَى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك "(٣)، ومما دعا إليه الإسلام وحرص عليه نشر السلام في المجتمع ونبذ الصراعات والكراهية.

ويؤكد ذلك أن السلام اسم من اسماء الله تعالى، وسمي الدين بدين الإسلام، كل ذلك يدل على قيمة السلام، وهو كذلك اسم من اسماء الجنة التي

(١) المصدر السابق، ٣٦٣٧.

(٢) سورة البقرة، آية : ٢٠٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق : سامي بن محمد السلامة ،ج١، ص ٥٦٥٥٦، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

أعدها الله لعباده المتقين، ودعا الناس إلى العمل للدخول إلى دار السلام، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [١]. وحِرص الإسلام على السلم يتجلى من خلال جعله " السلام " شعارا له، واختاره تحية للمسلمين سواء في الدنيا أو في الجنة، يقول تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥)إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [٢]، يقول القرطبي: " يقول بعضهم لبعض سلاما...يقول ابن عباس: " أي يحي بعضهم بعضا، وقيل تحييهم الملائكة، أو يحييهم ربهم عز وجل"[٣]، كما أن تحية الله للمؤمنين سلام: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [٤].

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث عديدة تأكد أهمية السلام وتدعو إلى نشره، من ذلك ما رُوي أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير ؟ قال:" تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف "[٥].

المتأمل في دعوة القرآن إلى السلم يجدها في واقع الأمر راجعة إلى أسباب كثيرة ؛ كلها نبذ لمنطق القوة وأسلوب العنف، وإقصاء الآخر، ويمكن الإشارة هنا إلى دعوته إلى التعارف والتعاون بين الأمم والشعوب، فالقرآن يؤسس لمبدأ التعارف بين الشعوب والأمم المختلفة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ ﴾ [٦] ، والتعارف لا يكون إلا في وجود السلم والأمن، ولا يتم في وجود الخلافات والصراعات والعنف، والمسلم أُمر بعدم الاعتداء، لكن إذا أُعتدي عليه يرد الاعتداء دفاعا عن نفسه، ويكون هنا اضطره الخصم لذلك، وفي هذا الظرف فقط يجوز استعمال القوة، إنه استعمال

(١) سورة يونس، آية : ٢٥.
(٢) سورة الواقعة، آية :٢٥٢٦.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٧، ص٢٠٦.
(٤) سورة الأحزاب، آية : ٤٤.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، ج١، ص ١٣، رقم ١٢، طبعة دار ابن كثير، اليمامة، سنة ١٤٠٧ هـ.
(٦) سورة الحجرات، آية : ١٣.

أسلوب الردع لمواجهة الاعتداء، مما يعني أن استعمال القوة في الجهاد حالة اضطرارية تتوقف فور توقف دواعيها، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

إن كثرة تكرار لفظ السلام يؤكد على أن الإسلام دين المبدأ السلمي العظيم، الذي يؤسس للتعايش بين الناس، بين المسلم والآخر.

٣ ـ الإسلام دعوة للحوار :

الحوار حديث يجري بين شخصين أو أكثر، وهو وسيلة التخاطب بين الفرد والآخر في المجتمع، وبين المجتمعات وبعضها، وللحوار قيمة سامية في الإسلام لما له من دور مهم في نشر المحبة والألفة والتعاون، وقد ورد ذكر الحوار في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (٢).

ولترسيخ مبدأ الحوار نزلت آيات تحث الرسول والمسلمين على أن يتحاوروا ويتناقشوا مع جميع الناس وبالأخص مع الآخر الخالف في العقيدة، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٣)، وقد خص أهل الكتاب بالحوار وأن يكون بالتي هي أحسن ،قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤)، ودعا الله أهل الكتاب إلى إقامة الحوار مع المسلمين للوصول إلى كلمة سواء بينهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٥). وفي الحوار وجهنا الله أن يكون ذلك

(١) سورة الأنفال، آية : ٦١.
(٢) سورة المجادلة، آية : ١.
(٣) سورة النحل، آية : ١٢٥.
(٤) سورة العنكبوت، آية : ٤٦.
(٥) سورة آل عمران، آية : ٦٤.

بالحسنى وباللين والرحمة، يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١).

فالحوار والانفتاح على الآخرين هو لب الدعوة الإسلامية، ذلك أن دعوة غير المسلمين للإسلام تحمل في طياتها المحبة لهم والحرص على هدايتهم، فالمسلمون مكلفون بتبليغ دعوة الإسلام إلى غيرهم بشرط أن تكون الدعوة عن طريق الحوار والمجادلة الحسنة حتى يتقبلها الآخر ويستجيب لها، ويمكن إخراجه من الظلمات إلى النور، وإنقاذه وإدخاله في دين الله، وهذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعلي - رضي الله عنه - حينما أعطى له الراية يوم خيبر، حيث قال له: " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لإن يهدي الله بك واحدا خيرا لك من حمر النعم "(٢).

وهكذا الإسلام يؤسس للتعايش السلمي مع الآخر، ويضع المبادئ التي تنظم هذه العلاقة مع غير المسلمين، وأن يتعايش الجميع في أمن وسلام وحرية وعدالة ومساواة.

---

(١) سورة آل عمران، آية : ١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في باب فضل من أسلم على يديه، ج٣، ص ٩٦، وأخرجه مسلم في باب فضائل علي بن أبي طالب، ج٤، ص ١٨٧٢.

المبحث الثاني

أحكام التعامل مع غير المسلمين في بلاد المسلمين

وردت التشريعات في القرآن والسنة تنظم العلاقات بين الناس وبعضهم البعض في جميع النواحي سواء الشخصية أو الاجتماعية أو المالية، هذه النصوص تشمل علاقة المسلمين مع بعضهم، وتشمل كذلك علاقة المسلمين مع غيرهم وخاصة أهل الكتاب من يهود ونصارى، فقد حدد الكتاب والسنة الأطر ورسم مبادئ العلاقات بين أفراد المجتمع فيما بين المسلمين، وفيما بين المسلمين وأهل الكتاب، وقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم عهودا مع غير المسلمين ترسم شكل العلاقة بينهم وتنظم طرق التعامل، هذه العهود شكلت مثالا يحتذى على مر العصور في كيفية التعامل مع غير المسلمين، خاصة بعد الفتوحات الإسلامية خلال القرن الأول الهجري تنوعت التركيبة الاجتماعية من أجناس متعددة مختلفة الأديان واللغات والعادات والتقاليد، وحصلت مستجدات استدعت قيام الفقهاء ببيان الرؤية الإسلامية والحكم الإسلامي في كل الأمور المستحدثة، وبينوا القواعد التي تحدد حقوق وواجبات غير المسلمين في بلاد الإسلام. وفيما يلي اذكر ملخص لحقوق وواجبات غير المسلمين في بلاد الإسلام.

المطلب الأول

حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام

إن دخول غير المسلمين في عقد الذمة يوجب على الدولة الإسلامية والمسلمين الوفاء بمستلزمات هذا العهد، ذلك أن الوفاء بالعهد من المسائل التي ألحت عليها الشريعة[(١)]، فيصبح غير المسلم من رعايا الدولة له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وقد وردت أدلة كثيرة تحث على حسن معاملة أهل الكتاب - الذمي - وتبين حقوقه وما يجب له، مع التنبيه إلى أن تقرير الحقوق في الإسلام قد شمل الجميع رجالا ونساء والأطفال كما شمل المسلمين وغير المسلمين في داخل الدولة الإسلامية وخارجها ؛ لأن الإسلام دين إنساني وعالمي [(٢)].

والمبدأ العام الذي يحكم العلاقة مع غير المسلمين غير المحاربين ورد في القرآن الكريم، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [(٣)].

يقول الشوكاني في تفسير هاتين الآيتين: "أي لا ينهاكم عن هؤلاء "أن تبروهم" وكذلك قوله "وتقسطوا إليهم" يقال :أقسطتُ إلى الرجل: إذا عاملته بالعدل، قال الزجاج: المعنى: وتعدلوا بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد " إن الله يحب المقسطين "أي العادلين".[(٤)] يتضح من هاتين الآيتين أن قاعدة تعامل المسلمين مع

---

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا : من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ". أخرجه البخاري في صحيحه ج٣، ص١١٦ ،وابن حبان في صحيحه ج١، ص٤٨٨.

(٢) من أصول الفكر السياسي في الإسلام، محمد فتحي عثمان، ص٣١٥، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٨٤ م.

(٣) سورة الممتحنة، آية : ٨٩.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، تحقيق : فريال علوان ،ج٤، ص٢٧٢، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، =

الناس جميعا من أهل الكفر والديانات الأخرى هي القسط والبر إن لم يكونوا محاربين للإسلام والمسلمين، ولذلك تعامل المسلمون مع غيرهم بمنحهم الحقوق التالية :

١- حق غير المسلمين في حرية المعتقد والعبادة :

يقول الله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)، ويتأكد مبدأ حرية العقيدة من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢)، ويتضح هذا في قوله تعالى : ﴿وقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. (٣)

يتضح من الآيات السابقة أن الإسلام كفل حماية أصحاب العقائد الأخرى الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية، وألزم الناس باحترام حق الغير في اعتقاد ما يشاء، فليس لإنسان أن يكره غيره على اعتناق عقيدة معينة أو بترك عقيدة محددة، بل إنه طالب المسلمين بضمان عقيدة الآخرين وعبادتهم، ومما يؤكد هذا الحرص قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. (٤) وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك القدوة الحسنة، وذلك من خلال حرصه على حرية الاعتقاد وحرية التعبير واحترام الاختيار، ويؤكد على ذلك ما قاله يوم فتح مكة بعد أن دخلها منتصرا، حيث قال: "من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو

١٩٩٩ م.

(١) سورة البقرة، آية : ٢٥٦.

(٢) سورة يونس، آية : ٩٩.

(٣) سورة الكهف، آية : ٢٩.

(٤) سورة الممتحنة، آية : ٨.

آمن ".[١] فقد أعطى لهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان رغم أنهم لم يدخلوا الإسلام بعد، فهم على عقيدتهم ولم يطلب منهم الدخول في الإسلام، أمنُهم فقط على أن يدخلوا دارهم أي لا يحاربوا المسلمين، أي يكونوا سلميين فقط، وبذلك تحفظ لهم انفسهم وأموالهم وعقيدتهم.

وتتجلى حرية العقيدة أيضا في العهد الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران في اليمن عندما قال: "لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأراضيهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وأن لا يغيروا ما كانوا عليه ولا يغيروا حقا من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغيروا أسقفا ولا راهبا من رهبانيته "[٢].

وقد سار الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - على منهج النبي صلى الله عليه وسلم، فعقدوا المعاهدات التي تضمن حرية عقيدة الآخر والتعامل معه بالتسامح واللين، من ذلك ما أوصى به أبوبكر أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال له: " إني موصيك بعشر... فعدد هذه الوصايا وذكر آخر وصية، فقال: وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم للعبادة فاتركوهم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ".[٣]

وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما فتح بيت المقدس سنة ١٦هـ/٦٣٧ م، فقد عقد مع أهل بيت المقدس صلحا ضمن لهم فيه حرية عقيدتهم وعبادتهم، فقد جاء في عهد الصلح: " هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم،...لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ".[٤]

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٢ ،ص٢٩٨، ورواه ابن حبان في صحيحه، ج١١، ص٧٥.
(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، باب وفد نجران، المحقق : د. عبد المعطي قلعجي،ج٥، ص٤٨٥، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
(٣) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار، ج١٣، ص٣٦٧، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.
(٤) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج٢، ص٤٤٩، الناشر : بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩ م.

يقول المستشرق الأمريكي "ستودارد" عن عمر رضي الله عنه: "كان الخليفة عمر يرعى حرمة الأماكن المقدسة النصرانية أيما رعاية، وقد سار خلفاؤه من بعده على آثاره فما ضيقوا على النصارى الحجاج الوافدين كل عام إلى البيت المقدس من كل فج من فجاج العالم النصراني ".[١]

لقد جاء عهد عمر بن الخطاب لنصارى بيت المقدس امتثالا لتوجيهات القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفظ عقيدة الآخر وعبادته، فضمن الإسلام لهم حرية العقيدة وحرمة شعائرهم ومعابدهم.

لم يأت في الإسلام نص فيه إكراه على اعتناقه، وكل أفعال النبي صلى الله عليه وسلم هي عدم إكراه للآخر على دخول الإسلام، بل إعطائه الأمان في أن يختار ما يشاء، كذلك سار الخلفاء الراشدون على ما جاء في الكتاب والسنة، وأيضا سار فقهاء الإسلام على ذلك، فالإمام الشافعي يرى ألا تتدخل الدولة الإسلامية في شؤون الذميين مادام عملهم لا يمس بالوضع العام، فيقول: " إن الحكومة يجب ألا تتدخل في أي عمل من أعمال الذمي رغم ما قد يكون فيه من مناقضة للشرع طالما أنه لا يتعارض مع الوضع العام، فإن كان الذميون في قرية ينفردون بامتلاكها لم تستطع الحكومة منعهم من إحداث كنيسة ولا رفع بناء" ولا تتعرض لهم في خنازيرهم وخمرهم وأعيادهم وجماعاتهم " وقد يُعير الذمي ذميا آخر دينا بالربا أو يعقد نكاحا لا يجيزه الشرع الإسلامي فلا يحل لأحد التدخل فيما فعلوه".[٢]

يتضح مما سبق أن الإسلام كفل حرية العقيدة والعبادة لغير المسلمين، لأن الناس لابد أن يتعايشوا مع بعضهم ويتجاوروا، فالاختلاف سنة الاجتماع البشري، ولذلك الإسلام لم يمنع من التجاور والتعايش مع أصحاب الملل المختلفة بل والتعامل معهم بالحسنى إن كانوا مسالمين.

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لوثر وب ستودارد، ترجمة : عجاج نوهيضي ،ج١، ص١٣١٤، دار الفكر، لبنان ،ط٣، ١٩٧١ م.

(٢) أهل الذمة في الإسلام، أ. ترتون، ص١٠٩١١٠.

٢- حق غير المسلمين في العدل ورفع الظلم عنهم :

الإسلام هو دين العدل، حيث إن العدل هو القصد في الأمر، وهو ضد الجور[١]، فهو التوسط بين الإفراط والتفريط[٢]، فقد قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣]، قال القرطبي: "دلت الآية على أن كفر الكافر لايمنع من العدل معه" [٤]، فقد حرص الإسلام على جعل العدل أساس التعامل مع غير المسلمين، بل العدل موجب لمحبة الله للعبد حتى مع غير المسلمين، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٥]، يجب أن يتعامل المسلم مع الآخر بالعدل مالم يكن الآخر مقاتلا للمسلم في دينه أو مخرجا له من دياره، بل أكثر من ذلك يجب أن يكون بارا به.

جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه: " من ظلم معاهدا أو انتقص حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة "[٦]، بل حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم من الظلم حتى لو مع الكافر، وأن ذلك موجب لانتقام الله منه، فقال :" اتقو دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب" [٧] .

لذلك حرص الخلفاء الراشدون على دفع الظلم والتزام العدل مع غير المسلمين المقيمين في بلاد الإسلام فقد حرص عمر على حماية أهل الذمة والوفاء

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة : عدل ،ج١١، ص٤٣.
(٢) التعريفات، الجرجاني، ص١٢٨، مصطفى البابي الحلبي- القاهرة- طبعة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م.
(٣) سورة المائدة، آية : ٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص١١٠.
(٥) سورة الممتحنة، آية : ٨.
(٦) الترغيب والترهيب، عبدالعظيم المنذري، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، ج٤ ،ص٧، ط١، دراسة الكتب العلمية ،بيروت، ١٤١٧ هـ - وقد أخرجه البيهقي في الكبرى، ج٩، ص ٢٠٥.
(٧) أخرجه أحمد في مسنده، ج٦، ص١٥٧.

بالتزامات الدولة تجاههم، ولذلك وصى الخليفة من بعده فقال: " أوصيه بأهل ذمة المسلمين خيرا، أن يوفي لهم بعهدهم، ويحاط من ورائهم ".[١]

كل ذلك يؤكد على وجوب العدل في الإسلام مع المسلمين أو غير المسلمين حتى مع الكفار وليس فقط مع أهل الكتاب من يهود أو نصارى.

٣ - حق غير المسلمين في حفظ الدماء والأموال والأعراض :

وقد حرص الإسلام على حياة الإنسان سواء كان مسلما أو غير مسلم، يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٢]، فالنفس أي ما كانت مسلمة أو غير مسلمة محفوظة إلا بالحق، أي إلا إذا فعل الإنسان جرما يستوجب القتل سواء كان مسلما أو غير مسلم.

ومما يدل على حرص الإسلام علي غير المسلم، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد مسيرة أربعين عاما "[٣] وقال كذلك: " أيما رجل أمن رجلا على دمه، ثم قتله، فأنا من القاتل برئ، وإن كان المقتول كافرا ".[٤]

يقول ابن عربي مؤكدا المساواة بين المسلم وغير المسلم في القصاص :"حرمة الدم ثابتة على التأبيد، فإن الذمي محقون الدم على التأبيد، والمسلم محقون الدم على التأبيد، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام، والذي يحقق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي، وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال المسلم، فدل على مساواته لدمه، إذ المال يحرم بحرمة مالكه "[٥].

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق : طه الزيني وآخرون، ج١٠ ،ص٦١٣، الناشر : مكتبة القاهرة، ط١، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

(٢) سورة الأنعام، آية :١٥١.

(٣) أخرجه البخاري، باب إثم من قتل ذميا، ج٦، ص٢٥٣، عن عبدالله بن عمربن العاص، وأخرجه ابن باجة في سننه باب من قتل معاهدا، ج ٢، ص ٨٩٥.

(٤) الترغيب والترهيب، عبد العظيم المنذري، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، ج٤، ص ٨٠، دراسة الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.

(٥) أحكام القرآن، ابن عربي، ج١، ص ٩٢، ط١، دار الكتب العلمية.

لقد جعل الإسلام لغير المسلمين الحق في حماية أموالهم، كما جعل أموال المسلمين معصومة فكذلك أموال الأقليات غير المسلمة معصومة، فهو يحرم أخذها أو الاستيلاء عليها بغير وجه حق، كأن تُسرق أو تُغتصب، أو غير ذلك مما يقع تحت باب الظلم، فقد جاء في العهد الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وملتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.."[١]

كما كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصا على حفظ أموال أهل الذمة ودمائهم، فقد روى عنه قوله: " إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا [٢]".

ولغير المسلمين حق حفظ أعراضهم في بلاد المسلمين، فوجب لهم ما للمسلمين من حفظ النفس والمال والعرض، يقول الفقيه المالكي شهاب الدين القرافي: " إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا (حمايتنا) وذمتنا وذمة الله تعالى، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذمة دين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة، فقد ضيع ذمة الله، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذمة دين الإسلام[٣]".

٤- حق غير المسلمين في التكافل الاجتماعي :

التكافل الاجتماعي من الأسس التي تقوم عليها المجتمعات، ولذلك اهتمت الشريعة الإسلامية بوضع قواعد تضمن التكافل في المجتمع الإسلامي وتحقق المودة والأمن والوحدة والسلام، والتكافل هو تحقيق الرعاية والضمان الاجتماعي، بما يحقق قدر من الحياة الكريمة، تتحقق فيها الاحتياجات الأساسية لكل أفراد المجتمع دون تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين.

ويستمد التكافل الاجتماعي في الإسلام مشروعيته من الكتاب والسنة، يقول تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، باب وفد نجران، ج٥، ص ٤٨٥.
(٢) المغني، ابن قدامة ،ج٩، ص٢٩١.
(٣) الفروق، القرافي ،ج٣، ص ١٤، عالم الكتب، بيروت.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ..وأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١).

ويقصد بالتكافل الاجتماعي سد حاجة المحتاجين، فالدولة الإسلامية عليها أن ترعى أبناءها وتسد احتياجاتهم الضرورية دون تفرقة بينهم أيا ما كان سبب هذه التفرقة، وذلك لأن تعاليم الإسلام تكفل لغير المسلمين الرعاية الاجتماعية، فمن كان منهم محتاجا للمال فيقطع له نصيبا من بيت المال، أيضا على المسلم أن يهنأه في السراء ويواسيه في الضراء، ويعينه على قضاء حاجته إن كان عاجزا، فتعامل المسلم مع أهل الكتاب المسالمين الذين يعيشون في الدولة الإسلامية مباح، وآذاهم حرام، فأباح الله للمسلم جوار أهل الكتاب والبيع والشراء معهم، وأكل طعامهم وأن يأكلوا من طعامنا، والزواج من بناتهم، يقول تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (٢).

فالإسلام ضمن التكافل الاجتماعي للناس جميعا سواء فيما بين المسلمين وبعضهم، وبين المسلمين وغيرهم، فلا يجوز في الإسلام أن يبقى إنسان محروما من الطعام أو الكساء أو بلا مأوى أو مريضا بلا علاج، فإن دفع الضرر عنه واجب ديني سواء كان مسلما أو من أهل الكتاب أو حتى كافرا.

٥ - حق غير المسلمين في العمل وتولي المناصب :

غير المسلمين الذين يعيشون في البلاد الإسلامية لهم الحق في العمل المشروع ، لذلك قرر الفقهاء أن: " أهل الذمة كالمسلمين في البيوع والتجارات وسائر العقود والمعاملات المالية " وكما لهم الحق في العمل لهم الحق أيضا في تولي المناصب في الدولة إن كانوا أهلا لها، فمباح لهم جميع أنواع العمل إلا العمل الذي حرمه الله، فأهل الذمة لهم الحق في العمل وتولي المناصب ضمن الدولة الإسلامية حيث كانت لهم حرية العمل في الحياة الاقتصادية والمساهمة بالأعمال

(١) سورة البقرة، آية : ١٧٧.
(٢) سورة المائدة، آية : ٥.

المختلفة التي يرغبونها من تجارة وصناعة وحرف كالمسلمين، وما هو محرم على المسلمين في نظم الدولة الإسلامية محرم على أهل الذمة مثل الربا، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [١]، كما منعهم الإسلام من بيع المحرمات، مثل الخمور، في أمصار المسلمين أو إدخالها على وجه الشهرة " لظهور شعائر الإسلام فيها "، لكنهم يستطيعون بيعها في قراهم وأمصارهم فيما بينهم، ولو كان فيها مسلمون.[٢]

وقد وردت النصوص مؤكدة جواز معاملة غير المسلمين بالبيع والشراء حتي الكفار منهم، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما قال: " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء رجل مشرك مشعان بغنم يسوقها، فقال :النبي صلى الله عليه وسلم: أبيعا أم عطية ؟ أو قال أم هبة ؟ قال: لا، بل بيع فاشترى منه شاة[٣]. اشترى منه النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على جواز البيع والشراء من غير المسلمين، ففيه جواز بيع الكافر وإثبات ملكه على ما في يده وجواز قبول الهداية منه.[٤]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قُبض النبي صلى الله عليه وسلم وإن درعه مرهونة عند رجل من يهود على ثلاثين صاعا من شعير أخذها رزقا لعياله [٥]، وقد رأى فيه ابن حزم جواز رهن السلاح عند أهل الذمة لا عند أهل الحرب بالاتفاق.[٦]

ومما يدل على تمكين الدولة الإسلامية لأهل الذمة من التجارة ما أورده ابن القيم في كتاب "أحكام أهل الذمة" عن أخذ العُشر منهم في جميع أموال التجارة، حيث قال: " قال القاضي: إذا دخلوا بميرة بالناس إليها حاجة أُذن لهم في الدخول بغير عُشر، لـيُكثر على المسلمين، وهذا مذهب الشافعي، ومنصوص أحمد وعمر

(١) سورة البقرة، آية : ٢٧٥.
(٢) فتح القدير، كمال الدين بن الهمام، ج١٠، ص ٦٠، دار الفكر.
(٣) مسند الإمام أحمد، ج٤، ص١٢٥.
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج١، ص١١٧٨ ١١٧٩.
(٥) - نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، الزيلعي، ج٦، ص٢٦٧، دار الحديث، ط١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
(٦) نيل الأوتار، الشوكاني، ج٥، ص٢٧٧، ط١، دار الحديث، ١٤١٣هـ ١٩٩٥م.

بخلافه. وقد روى مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر أنه كان يأخذ من النبط من القطنية العُشر، ومن الحنطة والزيت نص العُشر، ليكثر الحمل إلى المدينة ولكن إذا رأى الإمام التخفيف عنهم رعاية لهذه المصلحة، أو الترك بالكلية فله ذلك، وهذا عارض، لا أنه يترك تعشير الميرة بالكلية ".[1]

وقد أجاز الفقهاء مشاركة المسلم للذمي والعمل معه، يقول ابن حزم: " ومشاركة المسلم للذمي جائزة، ولا يحل للذمي من البيع والتصرف إلا ما يحل للمسلم، لأنه لم يأت قرآن، ولا سنة بالمنع من ذلك، وقد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر - وهم يهود - بنصف ما يخرج منها على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم - فهذه شركة في الثمن، والزرع، والغرس، وقد (ابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من يهود بالمدينة ورهنه درعه فمات عليه السلام وهي رهن عنده) فهذا دليل على جواز مشاركة ومعاملة أهل الذمة والمتاجرة معهم فيما أحله الله.

إلى جانب العمل والكسب جعل الإسلام للذمي حق في تولي المناصب العامة في الدولة باستثناء الوظائف المتصلة بالدين مباشرة كالإمامة ورئاسة الدولة والقيادة في الجيش والقضاء بين المسلمين، والولاية على الصدقات ونحو ذلك، فالإمامة (الخلافة) هي رئاسة عامة في الدين والدنيا، ولا يجوز أن يتولاها إلا مسلم، ولا يعقل أن ينفذ أحكام الإسلام ويرعاها إلا مسلم، وقيادة الجيش ليس عملا مدنيا صرفا، بل هي عمل من أعمال العبادة في الإسلام إذ الجهاد في الإسلام قمة العبادات الإسلامية، والقضاء إنما هو حكم بالشريعة الإسلامية، ولا يطلب من غير المسلم أن يحكم بما لا يؤمن به، ومثل ذلك الولاية على الصدقات ونحوها من الوظائف الدينية، وغير ذلك من الوظائف يجوز أن يعمل بها الذميين إذا تحققت فيهم شروط الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة [2].

(١) أحكام أهل الذمة، ابن القيم، المحقق : يوسف بن أحمد البكري أحمد بن توفيق العاروري، ج١، ص١٦٧، رمادي للنشر، الدمام، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) الدولة وسياسة الحكم في الفقه الإسلامي، الحصري، ج٢، ص٣١١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

كما لم يمانع الإسلام من شغل الذمي للوظائف في الدولة الإسلامية إذا توفر فيه الكفاءة والأمانة والإخلاص ، كذلك لم يمانع من التعامل معهم وبناء علاقات إنسانية تستدعي جملة من الالتزامات، من ذلك مثلا عيادتهم أثناء المرض، فقد سئُل أحمد بن حنبل عن عيادة القرابة والجار النصراني قال نعم [١].

كما أن التشريع الإسلامي أباح طعامهم للمسلمين ونكاح نسائهم [٢]، يقول تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ.... وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ [٣].

---

(١) أحكام أهل الذمة، ج١، ص٤٢٧ .

(٢) في النظام السياسي للدولة الإسلامية، د. سليم العوا، ص٢٤٩، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

(٣) سورة المائدة، آية : ٥.

المطلب الثاني

الأمور الواجبة على غير المسلمين في الدولة الإسلامية

كما هو معلوم نشأت الدولة الإسلامية في المدينة وتوسعت إثر الفتوحات الإسلامية، واستمر بعض أصحاب الملل الأخرى على دينهم وعاشوا في الدولة الإسلامية لهم حقوق ذكرنا جانبا منها، وأصبحوا جزءا من المجتمع الإسلامي، يمارسون حياتهم وعقائدهم وشعائرهم بحرية، لهم الأمن والأمان مثل المسلمين سواء بسواء، لكن كما لهم كل هذه الحقوق عليهم واجبات أيضا ؛ لأنه لاتوجد حقوق دون واجبات، وقد جاءت هذه الواجبات في أحكام الشريعة واضحة مفصلة، وذكرت في الوثيقة العمرية كما نقلها كثير من علماء الشريعة منهم ابن القيم في كتابه "أحكام أهل الذمة"، وكتاب الماوردي " الأحكام السلطانية "، ويمكن حصرها فيما يلي :

١- الواجبات المالية.

٢ - احترام شعور المسلمين وترك ما يضرهم.

٣- الالتزام بأحكام القوانين الإسلامية العامة.

٤- مشاركة المسلمين للدفاع عن البلاد في حال الحرب.

١ - الواجبات المالية :

كما لأهل الذمة كل الحقوق في كسب المال بالطرق المشروعة - كما للمسلمين - كذلك عليهم واجبات والتزامات مالية ناحية الدولة التي يعيشون فيها، تتمثل هذه الواجبات في دفع الجزية والخِراج والعُشور[(١)]، بالنسبة للخِراج والعُشور فهما من الواجبات المالية على المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية، أما الجزية فهي خاصة بأهل الذمة وقد دار حولها لغط كثير، لذلك سأذكر عنها نبذة مختصر لبيان حقيقة المقصود بالجزية.

(١) الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي، جبر دندل، ص٤٠٠، دار عمان للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٢ م.

الجزية: ما يؤخذ من أهل الذمة، وهي عبارة عن المال الذي يعقد الذمة عليه للكتابي، وهي مشتقة من الجزاء كأنها جزاء إسكاننا إياه في ديارنا، وعصمتنا دمه وماله وعياله، وقال ابن حجر العسقلاني: " الجزاء من الجزية، لأنها جزاء تركهم ببلاد الإسلام، أو من الإجزاء لأنها تكفي من توضع عليه في عصمة دمه "[١]، وقد عرفها الفقهاء بأنها: " اسم لما يؤخذ من أهل الذمة فهو عام يشمل كل جزية سواء أكان موجبها القهر والغلبة وفتح الأرض عنوة، أو عقد الذمة الذي ينشأ بالتراضي "[٢]، يقول الدكتور عبدالكريم زيدان: " المراد بالجزية هو المال المقدر المأخوذ من الذمي، فهي ضريبة على الرؤوس يلتزم الذمي بأدائها إلى الدولة الإسلامية في ميعادها المعين متى توافرت شروط وجوبها ولم يوجد ما يسقطها "[٣].

وقد أجمع الفقهاء بجواز أخذ الجزية من أهل الكتاب [٤]، وتأخذ من أهل الكتاب" اليهود والنصارى" ومن هم في حكمهم ممن لهم شبهة كتاب، وهم المجوس الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسنّ بهم سنة أهل الكتاب.[٥]

وتفرض الجزية على القادرين على حمل السلاح من الرجال الأحرار العقلاء[٦]، وقد كتب عمر إلى الأمراء الأجناد: " لا تضربوا الجزية على النساء والصبيان، ولا تضربوها إلا على من جرت عليه المواسي"[٧]، أي ناهز الاحتلام. ومثل المرأة والصبي لا يدفع الجزية الشيخ الكبير والأعمى وكل من ليس من القادرين على حمل السلاح، قال الإمام مالك: " مضت السُنة أن لا جزية على نساء أهل الكتاب ولا على صبيانهم، وأن الجزية لا تؤخذ إلا من الرجال الذين قد بلغوا

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢، ص١٤٩١.
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، ج١٦، ص ١٤٣، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
(٣) أحكام الذميين والمستأمنين في بلاد الإسلام، عبدالكريم زيدان، ص١٣٧١٣٨، مكتبة القدس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ج٨، ص١١٢.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٤، ص١٣٢.
(٦) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفرّاء (الماوردي)، ص١٥٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٥٨ هـ - ١٩٧٨ م.
(٧) المصنف، ابن أبي شيبة، ج٧، ص٥٨٣، دار الفكر، ١٩٩٤ م.

الحلم، فهذا إجماع من علماء المسلمين لا خلاف بينهم في أن الجزية إنما تضرب على البالغين من الرجال دون النساء والصبيان.[١]

وتسقط الجزية عند العجز عن سدادها، يقول أبو يوسف في " كتاب الخِراج": لا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه "[٢]، كما ذكر ابن قدامة أن الجزية لا تؤخذ على الفقير العاجز عن أدائها، واستشهد برأي عمر في ترك الخِراج عن العاجزين ليؤكد ضرورة ترك الجزية بالنسبة للعاجزين عن دفعها، حيث قال: " ولنا أن عمر رضي الله عنه جعل الجزية على ثلاث طبقات جعل أدناها على الفقير المعتمل ويدل على أن غير المعتمل لا شيء عليه، ولأن الله تعالى قال: ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ ولأن هذا مال يجب بحلول الحول فلا يلزم الفقير العاجز كالزكاة ".[٣]

أما مقدار الجزية، فيقول القرطبي :" لم يذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه مقدارا للجزية المأخوذة منهم وقد اختلف العلماء في مقدار الجزية المأخوذة منهم، يذكر عطاء بن أبي رباح أن الجزية لا توقيت لها ولا مقدار محدد لها، وإنما هي على ما صُولحوا عليه، لكن الطبري قال:" أقله دينار وأكثره لاحد له "[٤]، وقال الشافعي: " دينار على الغني والفقير من الأحرار البالغين لا يُنقص منه شيئا محتجا بما روي عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم دينارا في الجزية، لكن الشافعي يبين أنه:" إذا صُولحوا على أكثر من دينار جاز وإن زادوا وطابت بذلك أنفسهم قُبل منهم "[٥].

ويبدو من عدم تحديد مقدار الجزية أن الأمر متروك للإمام حيث يحددها بناء على الحالة المادية لأهل الذمة ، ولذلك من حق الإمام أن يخفف عن الضعيف

(١) الاستذكار، ابن عبد البر النمري (أبو عمر يوسف بن عبدالله)، تحقيق : سالم محمد عطا، محمد على معوض، ج٣، ص٢٥٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م.

(٢) كتاب الخراج، أبو يوسف بعقوب الأنصاري، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد - سعد حسن محمد، ص١٢٢، المكتبة الأزهرية للتراث.

(٣) المغني، ابن قدامة، ج١٠، ص٥٧٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص١١١.

(٥) المصدر السابق، ج٨، ص١١٢.

بالقدر الذي يراه، فترجع إلى اجتهاد الإمام في الزيادة والنقصان، بحسب ما يطيق أهل الذمة.[١]

يبدو مما سبق أن المبلغ الذي يجب دفعه في الجزية ليس كبيرا، فهو لم يتجاوز في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الدينار الواحد في السنة، فحين أرسل النبي معاذا إلى اليمن أخذ من كل حالم منهم دينارا، يقول معاذ: " بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعا ،أو تبيعة، ومن كل أربعين مسنة (هذه زكاة على المسلمين منهم)، ومن كل حالم دينارا، أو عدله معافر[٢](للجزية) ".[٣] ومقابل هذه الجزية تتعهد الدولة الإسلامية بجملة من الالتزامات يجب أن تفي بها للذميين وإلا تسقط الجزية عنهم.

وفي العصر الحديث تغير نظام الجزية في الدولة الإسلامية، يرى دكتور مصطفى السباعي سقوط الجزية عن غير المسلم المقيم في الدولة الإسلامية. وهو يستند في رأيه إلى كون الجزية لا تفرض إلا على من قاتل المسلمين، فيقول: "وكانت الجزية قبل الإسلام تفرض على من لم يكن من الفاتحين عرقا أو بلدا أو دينا، سواء حارب أو لم يحارب، أما في الإسلام فلا تفرض إلا على المحاربين من أعداء الأمة، أما المواطنون من غير المسلمين ممن لم يحاربوا الدولة الإسلامية فلا تفرض عليهم الجزية، ولو رجعنا إلى آية في القرآن لوجدناها تقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٤]، فالأمر بالقتال في آية الجزية ليس إلا لمن قاتلنا، فقتال من لم يقاتلنا عدوان لا يحبه الله تبارك وتعالى، فلا شك في أن الذين يعيشون في الدولة مع المسلمين مع أهل الكتاب ويشاركونهم في الإخلاص والولاء لها، ليسوا ممن يجوز قتالهم فلا تفرض عليهم الجزية التي هي ثمرة القتال بعد النصر[٥].

(١) راجع الأحكام السلطانية، ص١٥٥.
(٢) معافر : ثياب تنسب إلى معافر من همدان.(مختار الصحاح، الرازي، ج١، ص١٨٥).
(٣) -- رواه البيهقي في السنن الكبرى، ج٤، ص٩٨.
(٤) سورة التوبة، آية : ٢٩.
(٥) نظام السلم والحرب في الإسلام، مصطفى السباعي، ص٥٧٥٩، دار الوراق، الرياض، ط٢، =

ويقول كذلك: " أما استمرارية أخذ الجزية بعد عصور من الفتح الإسلامي وبعد أن أصبح أهل الكتاب رعايا مخلصين للدولة كالمسلمين، فذلك لا يسأل عنه الإسلام وإنما يسأل عنه الحاكمون والأمراء من المسلمين، ونحن إنما نتكلم عن نظام الجزية في الإسلام لاعن تاريخ الجزية في الدولة الإسلامية[١]. كلامه يدل على وجود بعض التجاوزات في أخذ الجزية خلال بعض فترات التاريخ الإسلامي.

وقد استند دكتور "مصطفى السباعي " في دعوته لإسقاط الجزية في العصر الحديث إلى تفسير آية الجزية عند أئمة التفسير، ومنهم الإمام القرطبي الذي يقول في تفسيره لهذه الآية: " والذي دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين، لأنه تعالى قال: " قاتلوا الذين " إلى قوله: " حتى يعطوا الجزية " فيقتضي ذلك وجوبها على من يقاتل، ويدل على أنه ليس على العبد وإن كان مقاتلا، لأنه لا مال له، ولأنه تعالى قال: " حتى يعطوا " ولا يقال لمن لا يملك حتى يعطي. وهذا اجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني ".[٢]

أيضا يرى دكتور "عبدالكريم زيدان " إسقاط الجزية عن الذميين الذين يعيشون في الدولة الإسلامية.[٣]وهو يعتمد في رأيه على علة فرض الجزية على الذميين، فهي قد فرضت بدل الدفاع والحماية، لكن في العصر الحديث يشترك الذميون " المواطنون " مع المسلمين في واجب الدفاع عن دار الإسلام، وبناء على مساهمتهم في الدفاع فإن الجزية تسقط بعد وجوبها.

كذلك يرى دكتور" سليم العوا " سقوط الجزية عن أهل الذمة في العصر الحديث، ويستند في رأيه على عدة اعتبارات :

أولا: أن الجزية لم تكن ملازمة لعقد الذمة، بل أسقطها الصحابة ومن بعدهم

١٩٩٨ م ١٤١٩ هـ .

(١) نظام السلم والحرب في الإسلام، ص٥٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص١١٢.

(٣) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ص١٥٧.

عمن قبل من غير أهل الإسلام مشاركة المسلمين في الدفاع عن الوطن ؛ لأنها بدل عن الجهاد، وغير المسلمين من المواطنين في الدول الإسلامية يؤدون واجب الجندية ويسهمون بدمائهم في حماية الأوطان، فهم لا تجب عليهم جزية أصلا.

ثانيا: إن هذا العقد - عقد الذمة - انتهى بذهاب الدولة التي أبرمته، فالدولة الإسلامية القائمة اليوم في أي قطر ليست خلفا للدولة الإسلامية الأولى التي أبرمت عقد الذمة.

ثالثا: إن الدولة القومية اليوم تقدم السيادة على نحو جديد من العقد الاجتماعي الذي لم يعرض له الفقهاء الأقدمون، فالسيادة التي عرفها الفقه القديم قامت على انتصار منتصر وانهزام منهزم، أما سيادة دولنا اليوم فقائمة على مشاركة حقيقية يتساوى طرفاها في صناعة الدولة القائمة، وفي الحقوق والواجبات.[١]

وهكذا يتضح أن الجزية لم يعد لها موقع في الدولة الإسلامية المعاصرة، وأصبح الجميع من مسلمين وغير مسلمين رعايا الدولة مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات، والكل يدفع الضرائب المفروضة من الدولة، وكذلك الكل يقضي الخدمة العسكرية دفاعا عن الوطن، فالجميع لهم نفس الحقوق ونفس الواجبات.

٢ - احترام شعور المسلمين وترك ما يضرهم :

كما أن لغير المسلمين الحق في احترام مشاعرهم كذلك يجب عليهم احترام مشاعر المسلمين وترك ما يضرهم، فيجب عليهم الامتناع عما فيه انتقاص لدين المسلمين، فلا يذكرون الله سبحانه بما لا يجب في حقه تعالى، ولا كتابه، ولا رسوله، ولا دين الإسلام، فلا يجوز لهم مثلا أن يسبوا الإسلام أو رسوله أو كتابه أو عقائده أو شرائعه، فقد روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه "أن يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها "[٢].

(١) في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص٢٥٥ وما بعدها، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩ م.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، ج٧، ص٦٠.

عن كعب بن علقمة (وهو من ثقات أهل مصر): أن عرفة بن الحارث الكندي[١]مر به نصراني فدعاه إلى الإسلام، فتناول النبي صلى الله عليه وسلم وذكره، فرفع عرفة يده فدق أنفه، فرفع إلى عمرو بن العاص فقال عمرو: أعطيناهم العهد، فقال عرفة: معاذ الله أن نكون قد أعطيناهم على أن يظهروا شتم النبي صلى لله عليه وسلم ، إنما أعطيناهم على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم، وأن لا نحملهم ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدو قاتلناهم من ورائهم، ونخلي بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا، فنحكم بينهم بحكم الله وحكم رسوله، ، وإن غيبوا عنا لم نعرض لهم فيها، قال عمرو: صدقت، وكان عرفة له صحبة "[٢]. فمن خلال هذا النص يتبين أن من مقتضيات العهد والأمان الممنوح لغير المسلمين أن يحترموا معتقدات المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم، كما يجب عليهم ترك كل ما فيه إظهار منكر كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وبيعه وشرائه أمام المسلمين، وبالجملة إعلان كل ما يضاد عقيدة المسلمين، أو فيه إفساد للمجتمع الإسلامي.

وقد ذكر الماوردي في " الأحكام السلطانية " عددا من الأمور يجب على أهل الذمة مراعاتها باعتبار انتمائهم للدولة الإسلامية، من ذلك :

_ أن لا يذكروا كتاب الله بطعن فيه ولا تحريف له.

_ أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء.

_ أن لا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه.

_ أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح._ أن لا يفتنوا مسلما في دينه ولا يتعرضوا لماله ودمه[٣].

---

(١) هو أبو الحارث اليماني نزيل مصر، له صحبة ويقال أنه قاتل مع عكرمة بن أبي جهل أهل الردة باليمن، سكن مصر واختط بها دارا. انظر : الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق : علي محمد البجراوي، ج٥، ص٣١٨، دار الجبل، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٢) الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج٥، ص٣٤٤.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٤٥.

أيضا ذكر الماوردي أن غير المسلمين يجب عليهم أن يلتزموا بـ " أن لا يعينوا أهل الحرب ولا يأووا عينا لهم "[١].

فهذه جملة من الواجبات على أهل الذمة يجب أن يلتزموا بها بغير شرط، والإخلال بها قد يؤدي إلى نقض العهد، ولاشك أن التزام غير المسلمين بالقوانين والامتناع عن إلحاق الضرر بالمسلمين كان دائما رهين حالة المسلمين ففي فترات القوة كانت الدولة تفرض خياراتها، لكن في حالات الضعف كما هو الحال اليوم تتعدد صور عدم الالتزام بالشروط التي وضعها الإسلام لعيش غير المسلمين في الدولة الإسلامية. فيجب أن يلتزم غير المسلمين بما هو واجب عليهم تجاه المسلمين، كما هو واجب على المسلمين أن يلتزموا بكل ما أوجبه الإسلام لغير المسلمين.

٣- الالتزام بأحكام القانون الإسلامي :

يجب على أهل الذمة الالتزام بأحكام الإسلام التي تطبق في الدولة المسلمة التي ينتمون إليها، فهذه الدولة كما تضمن له حقوق تطالبه بعمل واجبات باعتباره أحد رعاية الدولة، فتعامله كما تعامل المسلم فكل من المسلم وغير المسلم له حقوق وعليه واجبات باعتبار كل منهما من رعايا الدولة المسلمة.

ولغير المسلمين أن يتقاضوا إلى تشريعاتهم في أمورهم الخاصة، وليس للمسلمين أن يتدخلوا في شئونهم الخاصة، فقد أمر الله المسلمين أن يتركوهم وما يدينون، ولكن إذا ارتضوا بحكم الإسلام في بعض أمورهم حكمنا عليهم بشريعة المسلمين، لقوله تعالي: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [٢]، فإذا لجأوا للمحاكم الإسلامية حكمنا فيهم الشرع الإسلامي، يقول تعالى: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم أَبَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [٣]، يقول القرطبي: " فإن تحاكموا إلينا فالحاكم مُخير، إن شاء حكم بينهم بما أنزل الله، وإن شاء أعرض عنهم، وقيل يحكم بينهم في المظالم على كل حال، ويؤخذ من قويهم لضعيفهم، لأنه من باب الدفع عنهم "[٤].

(١) الأحكام السلطانية، ص١٤٥ .
(٢) سورة المائدة، جزء من آية : ٤٩.
(٣) سورة المائدة، الآية : ٤٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص١١٣.

وقد كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة التي يتحاكمون إليها إن شاءوا، وإلا لجأوا إلى القضاء الإسلامي يقول المؤرخ "آدم متز": " ولما كان الشرع الإسلامي خاصا بالمسلمين فقد خلّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم. والذى نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنيسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضا، وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به، وعلى أنه يجوز للذمي أن يلجأ إلى المحاكم الإسلامية. ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر إلى ذلك بعين الرضا. ولذلك ألفّ الجاثليق تيمونيوس حوالي ٢٠٠ هـ (٨٠٠ م) كتاب في الأحكام القضائية المسيحية. ويقول كذلك: وفي عام١٢٠هـ /٧٣٨م ولي قضاء مصر خير بن نعيم، وكان يقضي في المسجد بين المسلمين ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج فيقضي بين النصارى. ثم خصص القضاة للنصارى يوما يحضرون فيه إلى منازل القضاة ليحكموا بينهم، حتى جاء القاضي محمد بن مسروق الذي ولى قضاء مصر عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣ م فكان أول من أدخل النصارى في المسجد ليحكم بينهم ".[١]

لكن فيما عدا شؤونهم الخاصة يجب على أهل الذمة التقيد بأحكام الشرع الإسلامي في الدماء والأعراض والأموال، أي في النواحي المدنية والجنائية ونحوها، شأنهم في ذلك شأن المسلمين، فمن سرق من أهل الذمة أقيم عليه حد السرقة، كما يقام على المسلم، ومن قتل نفسا أو قطع طريقا، أو اعتدى على مال، أو زنى بمرأة، أو رمى محصنة، أو غير ذلك من الجرائم أخذ بها، وعوقب بما يعاقب به المسلم، لأن هذه الأمور محرمة في الإسلام، وقد التزموا حكم الإسلام في ما لا يخالف دينهم. فقد فرق الإسلام بين الجرائم التي تمس المجتمع كله وهي جرائم الجنايات والحدود، وبين الأحوال الشخصية والاجتماعية لغير المسلمين ولذلك فهو يقرر أحكامه العامة وبخاصة منها الجرائم والجنايات والحدود على جميع من يقبل العيش على أرضه تحقيقا للأمن العام، فالدولة تتولى تطبيق القانون

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر، آدم متز، نقله للعربية د / محمد عبدالهادي أبو ريدة، ج١، ص٦٦٦٧، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٩٩ م.

على المقيمين فوق أراضيها، ويعد ذلك تطبيقا لمبدأ مستقر في مختلف النظم القانونية، وفي مختلف دول العالم اليوم وهو مبدأ " إقليمية القانون " الذي يعني أن القانون يطبق على كل الموجودين من مواطنين أو أجانب على أرض الدولة مالم يتم الاتفاق على استثناء بعض الأفراد مثل السفراء وأصحاب البعثة الدبلوماسية. وعندما يخضع غير المسلمين لحكم الإسلام مثل المسلمين في الجرائم الجنائية والحدود فهذا يحقق الأمن للمجتمع.

٤ - الولاء لدار الإسلام والدفاع عنها في حال الحرب :

أمر الله المسلمين بقتال من يعتدي عليهم، فقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [(١)]، وكذلك أهل الذمة مطالبون بالقتال دفاعا عن البلاد التي يستوطنونها وعن الدولة التي ترعاهم ، وذلك لأن المسلمين وأهل الذمة يشكلون في الدولة أمة واحدة، فيكون الدفاع عنها مشترك بينهما. وقد جاء في معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم مع جهينة ما يلي: " أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلافي الدين والأهل، ولأهل باديتهم من بر منهم واتقى ما لحاضرتهم [(٢)]" كان النبي صلى الله عليه وسلم يضمن لأهل الذمة الأمن والأمان على أنفسهم وأموالهم، لكن في نفس الوقت يؤكد على وجوب مشاركتهم في الدفاع عن البلاد الإسلامية في حال العدوان على الدولة.

فالنصوص الأولى في الإسلام تشير إلى أنهم مطالبون بالدفاع عن دار الإسلام في حال الحرب إذا شرط عليهم ذلك في عقد الذمة، وهذا ما يعكسه عقد الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود في المدينة، ففي صحيفة المدينة هناك إلزام ليهودها بتحمل نفقات الحرب مع المؤمنين، "وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين "[(٣)]والدفاع عن المدينة حال العدوان عليها فهم يتحملون نصيبهم

(١) سورة البقرة، آية : ١٩٠.

(٢) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ص٦٢، النقاش بيروت، ط٦، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري - وعبدالحفيظ الشلبي، ج١، ص٥٠٣، الناشر : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥ هـ - =

من نفقات الحرب التي يشاركون فيها مع المؤمنين، وإنهم بجميع طوائفهم يشكلون في حال الحرب أمة واحدة مع المؤمنين، وتعكس صحيفة المدينة أن جميع سكانها من مسلمين وغيرهم أمة واحدة " جماعة واحدة " عدوهم واحد وأمنهم واحد، فأرست بذلك مبدأ الدفاع المشترك بين جميع الساكنين، فقد جاء فيها: " وأن بينهم النصر على من دهم يثرب " ويتأكد بذلك إلزام غير المسلمين بالدفاع عن البلاد الإسلامية في حال الحرب.

وقد دلت هذه الوثائق على الأخلاق الإسلامية السامية، فمن خلالها ظهر الرسول القائد السمح صلى الله عليه وسلم، يوادع القبائل على النصرة المتبادلة في المعروف، ويضمن لهم النبي الأمن والأمان على الأموال والأنفس، لكنه في الآن نفسه يؤكد على وجوب مشاركة غير المسلمين في الدفاع عن البلاد الإسلامية إذا داهمها خطر، كما يتضح أيضا إلزام الإمام لهم بالدفاع عن دار الإسلام إذا تضمن عقد الذمة هذا الشرط.[١]

يري الدكتور "علي صوّا" أنه لا يستبعد أن يكون الدفاع عن دار الإسلام من قبل غير المسلمين في حال الخطر واجبا عليهم بمقتضى مطلق العقد لأنهم في دار الإسلام كالمسلمين، أمنهم واحد، فيجب أن يتحملوا جميعا أعباء الدفاع عن أمنهم ويتصدوا للأخطار التي تهددهم.[٢]

وأهل الذمة حين كانت تؤخذ منهم الجزية خلال بعض فترات التاريخ الإسلامي، كان ذلك مقابل حمايتهم، ولا يجب عليهم حينذاك مشاركة المسلمين في الحرب ورد العدوان على الدولة الإسلامية ، أما وقد تغير نظام الجزية في العصر الحديث ولم تعد تؤخذ منهم فقد أصبح عليهم مشاركة المسلمين في الدفاع عن الدولة، يؤكد على ذلك دكتور "عبدالكريم زيدان" حيث يذهب إلى اسقاط أخذ

=

١٩٥٥ م.

(١) الأقليات الإسلامية في المجتمع الإسلامي، دندل جبر، ص٢٤٠ ،دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣ م.

(٢) معاملة غير المسلمين في الإسلام، علي الصوّا، ج١، ص٢٢٩، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، مآب، الأردن.

الجزية من الذميين الذين يعيشون في الدولة الإسلامية[1]؛ لأنهم أصبحوا مواطنين بمقتضى المواطنة التي تمنحهم مجموعة من الحقوق ولكنها تجعلهم يشتركون مع المسلمين في الدفاع عن دار الإسلام مثلهم مثل المسلمين في حالة الخطر والعدوان.

---

(١) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، عبدالكريم زيدان، ص١٥٧.

المبحث الثالث

الوسطية في الإسلام وتبني الأزهر لمنهج الوسطية

أولا: وسطية الإسلام :

المقصود بالوسطية عدم الإفراط والتفريط، أي الاعتدال والتوازن، فلا يطغى جانب على جانب، بل يوازن الإسلام بين الأشياء، كالتوازن بين الروح والعقل والبدن، كذلك التوازن والاهتمام بشئون الدنيا والآخرة معا، فالإسلام دين عدل لا غلو فيه ولا تقصير، والشريعة الإسلامية تتسم بالوسطية، فلا تشدد ومشقة، ولا سهولة ونقص، فهي وسط بين ذلك، والوسط أفضل الأمور، لقد مدح الله تعالى هذه الأمة بهذه الخاصية، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [(١)]، قال ابن كثير في شرح الآية :" والوسط هاهنا هو الخيار الأجود"[(٢)]، وقال القرطبي: "والوسط العدل أصل هذا إن أحمد الأشياء أوسطها "[(٣)]، ودين الإسلام لأنه وسط عدل فإنه كما اعتنى بالآخرة وضع قواعد لتنظيم الحياة الدنيا، فقد أمر بالاهتمام بأمور الدنيا وأمور الآخرة بتوازن تام، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [(٤)]، ويقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [(٥)]، تشير الآية إلى أهمية الوسطية وتحقيق التوازن في الحياة.

وقد وازن الإسلام بين متطلبات الروح والعقل والبدن، ولم يجعل جانبا يطغى على جانب، روى البخاري أن أبا الدرداء كان يصوم النهار ويقوم الليل، فقال له

---

(١) سورة البقرة، آية : ١٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص١٩٠، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٠٣هـ ١٩٦٨ م.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ١٥٣.

(٤) سورة النساء، آية : ١٣٤.

(٥) سورة القصص، آية : ٧٧.

سلمان الفارسي : "إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه" فأقره النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "صدق سلمان"[(١)].

ومما يؤكد وسطية الإسلام في العقيدة أن الإسلام عقيدة وسطية بين من يتبعون الخرافات والأساطير مهملين العقل والدليل مصدقين بكل ما يصل إليهم ويتبعونه ويقلدونه تقليدا أعمى، وبين الماديين الذين ينكرون كل شيء وراء المادة، إن الإسلام يقيم عقائده على براهين مقنعة وأدلة ساطعة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾[(٢)]، الآية تؤكد على أهمية الدليل والبرهان يطالب به على قضايا قد ثبت فسادها وبطلانها، فمن المعلوم أنه لا برهان على وجود إله آخر مع الله إنما هي دعوة لا تستند إلى أساس، وكذلك قول الله تعالى مفندا مزاعم أهل الكتاب ومطالبا إياهم بتقديم البرهان على ما يقولون، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[(٣)].

والإسلام وسط بين من يؤمنون بالعقل وحده مصدرا للمعرفة، ومن ينكرون قيمة العقل ويقولون بالإلهام أو بالأوهام، فالإسلام يقف موقفا متميزا في الربط بين العقل والوحي، فهو يعتبر أن بينهما علاقة كعلاقة البصر بالنور، فالبصر يغدو عديم الفائدة في غياب النور، كما أن النور لا جدوى منه إذا سار في ضوء أشعته أعمى، فالعقل بصر والوحي نور، فعقيدة الإسلام وسط بين هؤلاء وأولئك. أيضا الإسلام معتدل بالنسبة للأنبياء، فالمسلمون مأمورون بالإيمان بجميع الأنبياء والرسل ، يقول تعالى: ﴿مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[(٤)]، فاليهود يقتلون الأنبياء، ويكذبونهم ويستكبرون على اتباعهم، بينما النصارى يجعلون ممن ليس بنبي ولا رسول نبيا ورسولا، كما يقولون عن الحواريين أنهم

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، حديث رقم ١٩٦٨، ص١٥٤.
(٢) سورة المؤمنون، آية :١١٧.
(٣) سورة البقرة، آية : ١١١.
(٤) سورة البقرة، آية : ٢٨٥.

رسل، ويطيعون أحبارهم ورهبانهم كما تطاع الأنبياء، والمسلمون ينزهون الله عن صفات المخلوقين ولا يشبهونه بأحد، كما أنهم لا يرفعون أحد من المخلوقين إلى درجة الإله، كما أنهم يؤمنون بالرسل ويتبعونهم ويعطونهم قدرهم من غير غلو ولا تكذيب، ولا يوجبون الطاعة في الدين لغير الله ورسوله، أما العلماء فإنهم لا يضعون الشريعة بل يوضحون شريعة الله ويبينونها من غير كتمان ولا اخفاء ولا تبديل.

كذلك يعتمد الإسلام الوسطية في الشريعة، سواء في العبادات أو في المعاملات، حتى في القراءة في الصلاة الجهرية، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [1] والسبيل هنا هو التوسط، الذي هو التوسط والاعتدال، ومن أمثلة ذلك أيضا الوسطية في الإنفاق، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [2]، والقوام هو الوسط، وهو التوازن بين الإفراط والتفريط، ومرجع الوسطية إلى الشرع فما وافق الشرع فهو الوسط، والزيادة على المطلوب في الأمر إفراط والنقص عنه تفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، والخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما، ولذلك يقول القرطبي: " لما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا ". [3]

أما العبادات فقد جاءت في الإسلام وسط من غير إفراط ولا تفريط، ففرض الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من العبادات، بما يحقق القرب إلى الله والنهي عن المحرمات التي تؤدي إلى ابتلاء البشر، ولم يجعل العبادات شاقة عسيرة يصعب الاستمرار عليها، وقد ورد في ذلك: " إن أحق الأديان بطول البقاء ما وجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين، ليجد كل من ذوي الطبائع المختلفة ما يصلح به حاله في معاده ومعاشه، أو يستجمع له منه خير دنياه وآخرته "[4]،

(١) سورة الإسراء، آية : ١١٠.
(٢) سورة الفرقان، آية : ٦٧.
(٣) موسوعة أخلاق القرآن، حسين نجيب محمد، ج٢ ،ص٩٩، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٠٠ م.
(٤) الإعلام بمناقب الإسلام، محمد بن يوسف العامري، ص١٣٧، مؤسسة الأصالة للثقافة =

والإسلام أحل الطيبات ولم يحرم إلا كل ما هو ضار، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (١)، والإسلام يأمر المسلم بالاعتدال حتى في رد الإساءة على من أساء إليه، فأمر إما بالصفح أو الرد بالمثل مع من لا ينفع معه الصفح، لئلا تستطيل أيدي أهل العبث والإفساد على أهل التقوى والصلاح (٢)، وقد ورد في القرآن آيات عديدة ترخص في المعاقبة بالمثل مع تفضيل العفو والصفح، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (٣)وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(٤).

ثانيًا : الأزهر ودوره في نشر الوسطية:

تبنى الأزهر المنهج الوسطي الذى دعت إليه رسالة الإسلام ؛ لأن الأزهر يحمل التعاليم الصحيحة للإسلام ويعلمها للمسلمين في كل الدنيا، ويوضحها لغير المسلمين حتي يعرفوا الإسلام الصحيح، ويرد الشبهات التي يزعمها أعداء الإسلام ويبين زيفها، ليظل الإسلام بعقيدته وتعاليمه نبعا صافيا نقيا يحمل للبشرية كل الخير، وينشر التسامح والإخاء والأمن والسلام على العالم كله ؛ لأنه رسالة الله لكل العالم.

١- لمحة تاريخية **مختصرة عن الأزهر:**

كان الأزهر منذ نشأته في العصر الفاطمي (٩٧٢ - ١١٧١ م) رمزا للتسامح المذهبي، وقد عرف عبر التاريخ بالوسطية والاعتدال، وقد أراد القائد الفاطمي جوهر الصقلي أن يجعل الأزهر على المذهب الشيعي، لكن الشعب المصري كان على المذهب السني، وقد فرض الشعب المصري إرادته، ويشير المؤرخ مصطفى رمضان

والنشر والإعلام، الرياض، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

(١) سورة الأعراف، آية : ١٥٧.

(٢) الإسلام والرد على منتقديه، الإمام محمد عبده، ص٦، المكتبة التجارية، مصر، ط ١٣٤٦ هـ.

(٣) سورة النحل، آية : ١٢٦.

(٤) سورة الشورى، آية : ٤٠.

إلى ذلك قائلا: " والأزهر أقوى مثل على قوة الشعوب في فرض طابعها، فلقد أراد الحاكم له أن يكون حصنا لمذهب معين، ولكن إرادة الشعب الذي يؤمن بحرية الفكر والتسامح وحبه للاعتدال أبت إلا أن يكون جامعة حرة لدراسة المذهب السني، وكعبة الوافدين إليه من مختلف البلدان على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وألوانهم في أروقتهم العلمية العتيقة ".

وفي العصر الأيوبي (١١٧١ - ١٢٥٠ م) تراجعت الدراسة بالجامع الأزهر نتيجة للسياسة الأيوبية تجاه المذهب الشيعي الذي كان عليه الأزهر آنذاك، حيث عمل الأيوبيون على استأصال هذا المذهب من مصر، وعلى الرغم من ذلك كله ظل الأزهر العريق قبلة كبار العلماء الذين وفدوا إلى مصر خلال هذا العصر، ومقصدا للطلاب الغرباء من كل صوب والذين بلغ عددهم على حد قول المقريزي ٧٥٠طالبا، بل تعدى الأمر إلى أن الأزهر كان المورد للمدارس الأخرى المناهضة له فيما تحتاجه من علماء التدريس. وهذا من أروع الأمثلة على التسامح المذهبي وقبول التعددية الثقافية والفكرية.

أما في العصر العثماني (١٥١٧ _١٧٩٨م) فقد أظهر العثمانيون احتراما عميقا للأزهر وعلمائه، وذلك لسببين: الأول منهما: أنه هو المركز الرئيس للدراسات السنية في العالم الإسلامي آنذاك، والدولة العثمانية سنية المذهب خاضت من أجله حروبا ضارية مع الصفويين في بلاد فارس، والثاني: حرص العثمانيون على استمالة المصريين نحوهم بإظهار الاحترام والتقدير للأزهر جامعا وجامعة، لم له من قدسية ومكانة في قلوب المصريين، ومن هنا احتفظ الأزهر في هذا العصر بقوته وحيويته وتقاليده، وظل موطنا للدراسات الدينية وملاذا للغة العربية، وكعبة العلم والعلماء مما أثرى الحياة الثقافية والعلمية بمزيج من الثقافات والأفكار، كما لم ينقطع عنه الطلاب الوافدين من مختلف العالم الإسلامي لينهلوا من نبعه الصافي، واستطاع الأزهر أن يحافظ على الطابع العربي لمصر، وذلك يرجع إلى: عدم تدخل العثمانيين في شئون الأزهر، والاستقلال المالي للأزهر، والتحام الأزهر بالجماهير، وقيام الزعامة الشعبية في علمائه، وغير ذلك من أسباب أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن الأزهر قاد المقاومة المصرية ضد الحملة الفرنسية والتي انتهت بخروجها من مصر (١٨٠١ م)، وأن الأزهر ورجالاته كانوا من أهم

أسباب النصر على الحملة الفرنسية على مصر، وثورة (١٩١٩ م) خرجت من الأزهر لتواصل الجهاد ضد المستعمر البريطاني إلى أن رحل، ولم تقتصر جبهة علماء الأزهر على النضال البطولي في ميدان المعارضة السياسية وقيادة الثورات، وإنما خاضت غمار الحياة الاجتماعية وحققت الكثير من المصالحات بين الفئات المتنازعة فحدث بذلك نوع من السلام والاستقرار والتماسك الاجتماعي.

٢ – تبني الأزهر للمنهج الوسطي :

وكما ذكرنا الإسلام دين الوسطية والأزهر يتبنى منهج الإسلام في الوسطية، ولا يستطيع عاقل إنكار دور الأزهر الشريف في نشر المنهج الوسطي، ونشر قيم التسامح بين الناس جميعا، ورعاية الفكر الإسلامي المعتدل في مصر والعالم كله، فالأزهر هو الهيئة العلمية الكبرى التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته ونشره، وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل شعوب العالم، والعمل على إظهار حقيقة الإسلام ودوره البناء في حفظ وتقدم البشرية ورقي الحضارات.

والأزهر صاحب الجامعة الإسلامية العريقة يُعلم طلابه من جميع أنحاء العالم أصول المنهج الوسطي، فيعلمهم حسن التعامل مع البشر وحفظ حقوق الإنسان كما جاء في الإسلام، والسعي في الإصلاح وبث روح التآلف والتآخي والتسامح والسعي لإسعاد البشرية وبناء الحضارة على تقوى من الله ورضوانه.

يعلم الأزهر المسلم كما أمر الله تعالى ألا يظلم أحدا ولا نرضى أن يظلمنا أحد، أن نعدل مع القريب والبعيد والصديق والعدو، ولا نكذب ولا نخدع أو نخون، وأن نحسن إلى جيرانا ونكرم ضيوفنا، وأن نرحم الصغير ونوقر الكبير، علمنا الأزهر ما أمر به الدين أن نستوصى بالنساء خيرا ونكرم المرأة، علمنا أن نتحاور مع الآخر بالحسنى، علمنا الرحمة والمحبة والإخاء والتعاون والصدق وكل الخصال الحميدة، علمنا الانتماء إلى الدين ثم الانتماء للوطن والدفاع عنهما.

يدعو الأزهر الشريف للوسطية لأنه يطبق منهج الإسلام في التوازن بين الأحكام، فلا غلو ولا تشدد، ولا تفلت ولا تسيب، فلا إفراط ولا تفريط في الإسلام، وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل العملي في ذلك مع بعض الصحابة الذين شددوا على أنفسهم بحثا عن المزيد من الطاعة، فقال أحدهم:

أصوم الدهر كله ولا أفطر، وقال الآخر: أقوم الليل كله ولا أنام، وقال الثالث: لا أتزوج النساء. ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا درسا عميق في الوسطية والاعتدال، حيث قال صلى الله عليه وسلم: " أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني "[1]، حيث إن ذلك بعيد عن روح الإسلام ومبادئه التي بنيت على التيسير، وما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن فيه إثم أو قطيعة رحم.

يتضح مما سبق أن وسطية الأزهر الشريف تنطلق من وسطية الإسلام التي هي تحصين للمجتمع من التفريط في الدين وضياع القيم والأخلاق، ومن التطرف والمغالاة الذي يقود إلى العنف والسعي إلى إلزام المخالف رأيه بالقوة، وتبني الأزهر لمبدأ الاعتدال ووسطية الإسلام هو سر بقائه إلى الآن شامخا لم تؤثر فيه حوادث الدهر، وهو سبب ثقة الناس في فكر الأزهر وعلمائه، وهو الملاذ للجميع والحصن والمدافع عن الدين.

لقد رفع الأزهر راية الوسطية على مدار ١٠٥٠ عاما، ولم يثنيه شيء عن أن يكون شعار الوسطية والاعتدال في الفكر في كل شيء هو شعاره الذي لم ولن يتغير أبدا، وسيظل يؤدي رسالته التي هي محاكية للدين الإسلامي في التوجه والأهداف التي تتسم بالعالمية، وسيظل تأثير الأزهر على المستوى المحلي والعربي والعالمي بمنهجه الوسطي، وسيظل الأزهر يحمل رسالة الإسلام التي تتسم بالوسطية والاعتدال، سيظل منارة الإسلام التي تحفظ القرآن والسنة وصحيح الدين، وسيظل حاملا لـثقافة تجديد الفكر الإسلامي الذي يلائم كل العصور الفكرية إلى قيام الساعة، لأنه الدين الخاتم الذي أنزله الله لتنظيم حركة البشرية إلى قيام الساعة.

من أمثلة وسطية الأزهر تبني تدريس العقيدة الوسطية سواء في مراحل التعليم الأولى أو في الجامعة، فقد تبنى الأزهر المذهب الأشعري وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهم جمهور علماء الأمة، فقد التزموا بالكتاب والسنة دون إغفال دور العقل، مع تقديم النقل على العقل، وبهذا المنهج القويم بينوا أصول العقائد،

(١) صحيح البخاري، ج١٥ ،ص٤٩٣، صحيح مسلم، ج٧، ص١٧٥، سنن النسائي، ج١٠، ص٣٠٩.

وردوا على شبهات الملحدين، لذلك تبنى الأزهر المذهب الأشعري في العقيدة، وسلك مسلكا وسطا معتدلا مدافعا به ضد الاتجاهات المختلفة التي تريد هدم عقيدة المسلمين من اتجاهات يسارية متطرفة سواء علمانية أو حداثية أو ادعياء التنوير، أو اليمينية المتطرفة المتشددة في الدين التي تأخذ الدين كممارسات شكلية ؛ بسبب الفهم السطحي للدين، فاتخذ الأزهر منهجا وسطا معتدلا في إقرار العقائد لا تفريط ولا إفراط ؛ وإنما تقرير العقائد وإثباتها بالأدلة من الكتاب والسنة ثم بالعقل، ورد الشبهات والدفاع عن الدين والمجادلة بالتي هي أحسن كما أمر الله تعالى.

وفي كلمة للدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر عن سبب تمسك الأزهر بالمذهب الأشعري ؛ قال: لأنه وجد فيه العلاج الناجع لأمراض وعلل أصابت الفكر الديني ؛ لأن المذهب الأشعري يعد انعكاسا صادقا أمينا لما كان عليه النبي وصحابته وتابعوهم من يسر وبساطة في الدين عقيدة وشريعة وأخلاقا، ومع ذلك أفسح الأزهر المجال واسعا لكل المذاهب الكلامية الأخرى، وينظر إليها بحسبانها مذاهب إسلامية تستظل بظلال الإسلام.[1]

المذهب الأشعري يجمع بين الثبات والمرونة، ويدحض كل المكائد والأفكار المنحرفة التي تحاول تشويه الإسلام وتتهمه بالجمود، لذلك اتخذه معظم علماء الأمة مذهبا، واتخذه الأزهر مذهبا يدرس لطلابه في كل دول العالم.

أما الشريعة الإسلامية فالأزهر يدرس كل المذاهب الفقهية التي أقرها جمهور علماء الإسلام، ويدرس القضايا الفقهية المعاصرة، وبه لجنه فتوي لما يستجد من أمور الدين والدنيا، وينشر القيم والأخلاق التي دعا إليها الإسلام، ويعمل على تعزيز وشائج الأخوة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وعلى نشر الإسلام الصحيح المعتدل الوسطي في العالم كله.

---

(١) - انظر كلمة شيخ الأزهر على موقع العربية : https://surl.li/cskbnr

المبحث الرابع

فلسفة التسامح في الخطاب الديني للأزهر عبر العصور

وهكذا مضى الأزهر جامعا وجامعة على مدى فترات متلاحقة منذ نشأته في العهد الفاطمي في إمداد مصر والعالم الإسلامي بفيالق من رجاله، تخرج في موجات متتالية تؤدي رسالتها في التنوير ونشر المعارف، إلى أن جاءت ثورة (١٩٥٢ م) وبلغت حركة التجديد والتحديث ذروتها بصدور القانون ١٠٣لسنة(١٩٦١ م) وادخال العلوم الطبيعية كالطب والزراعة والهندسة وغيرها في مجال التدريس في الأزهر بهدف تزويد العالم الإسلامي بالعلماء العاملين الذين يجمعون بين علوم الدنيا والآخرة لتأكد الصلة بين الدين والحياة، وتأكيدا على مسيرة الأزهر في نشر ثقافة الوسطية والاعتدال وإرساء دعائم السلام والتسامح.

أولا: إسهامات علماء الأزهر في نشر ثقافة التسامح :

لقد ذخر تاريخ الأزهر بكوكبة من العلماء الذين أثروا الحياة العملية والأدبية بمزيج من ألوان الفكر وفنون المعرفة المختلفة، كما تصدوا للطغاة من الحكام في عصوره المتقدمة، فضلا عن كونهم كانوا وقودا للثورات ضد المستعمرين الأجانب، ويضاف لهذا دورهم المهم في الحوار المجتمعي والحوار الوطني. اذكر فيما يلي نماذج من اسهامات بعض علماء الأزهر في نشر الفكر الوسطي والتسامح المجتمعي.

- **رفاعة الطهطاوي** (١٨٠١_ ١٨٧٣ م) : يعتبر رفاعة طهطاوي الأب الروحي للنهضة العربية والتنوير في مصر الحديثة، ويرجع ذلك إلى المؤلفات الإصلاحية التي قام بوضعها، وقد تميز فكره بالنظرة الشمولية وبالإحاطة بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية، والجمع بين العمل والخبرة والواقعية، والمزج بين التراث الإسلامي وبين العلوم العصرية الحديثة، والفهم المستنير للحضارة الأوربية [١].

تميز رفاعة الطهطاوي بالتكيف وقبول ثقافة الآخر، وقد وضع بذور الفكرة الديمقراطية في العصر الحديث من خلال كتابه "تلخيص الإبريز في تلخيص

(١) دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني، عبدالجواد صابر إسماعيل ،ص٦.

باريز" الذي وضعه عام (١٨٣٤ م) أثناء بعثته إلى فرنسا، كما بذر فكرة الاشتراكية المعتدلة في آخر مؤلفاته "مباهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية" الذي وضعه عام (١٨٦٩ م)، وترجم الكثير من الكتب الأوربية إلى العربية ليُحدث نوعا من التلاقح الثقافي [(١)]، وقد أثر رفاعة الطهطاوي في الحياة الفكرية والثقافية في مصر، وأرسى دعائم الديموقراطية والتسامح وقبول الآخر في العصر الحديث.

- **محمد عبده** (١٨٤٩_ ١٩٠٥ م): تميز موقفه الإصلاحي بالتحرر من قيود التقليد والاستناد على أساس عقلاني مستنير، لهذا دعي إلى العودة إلى تعاليم الإسلام والتسلح بالعلم، والمطالبة بالحقوق والحريات وتطهير العقول من براثن الجهل والتعصب والانتقال بها إلى مصاف التعايش السلمي، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتسامح الحقيقي، الذي يتمثل وفق رؤية محمد عبده الإصلاحية في (التقبل _ الاحترام _ التعاون) مع الآخر، كما أكد على أهمية دور التربية والتعليم في تعزيز تلك المبادئ من خلال حرية الفكر بدلا من إقصائه وتهميشه [(٢)].

ومن نماذج التعايش السلمي للشيخ محمد عبده رسائله إلى" تولستوي"- أحد عمالقة الأدب الروسي في القرن الرابع عشر- فقد عاشا في زمن واحد ولم يلتقيا قط، واختلفا في الديانة والجنسية، ولكن اتفقا في الإنسانية، وجمعهما التسامح والمحبة، أحدهما للآخر، والاتفاق على أن الدين ما جاء إلا لإصلاح الإنسانية، وقد أحدثا ضجة فكرية غير مسبوقة في عصرهما، وضربا مثالا للمحبة والتسامح غير مسبوق، وكان لهما رسالتان متبادلتان، بدأ بإحداهما الشيخ محمد عبده، وقد أثارت كتابات الأديب العالمي "تولستوي" حول النبي محمد صلى الله عليه وسلم إعجاب الشيخ محمد عبده، فقد كان تولستوي رغم مسيحيته معجبا بشدة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويعتبر الإسلام دينا راقيا وإنسانيا، وحينها قرر الشيخ محمد عبده أن

(١) تاريخ الفكر المصري الحديث ومختارات فكرية، لويس عوض، ص١٨٣١٩٥، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.

(٢) التسامح وتجلياته في الفكر العربي الحديث، صباح حمودي نصيف، محمد عبده إنموذجا، إنموذجا، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، العراق، ص٥٥٧٧، ٢٠١٤ م.

يتواصل مع " تولستوي"، فكتب له رسالة في ٨ إبريل من عام ١٩٠٥م وفيما يلي جانبا من هذه الرسالة: أيها الحكيم الجليل مسيوه تولستوي، لم نحظ بمعرفة شخصكم ولكننا لم نحرم التعارف بروحكم، سطع علينا نور من أفكاركم، وأشرقت في آفاقنا شموس من آرائكم ألفت بين نفوس العقلاء ونفسكم،... ورفعتم صوتكم تدعون الناس إلى ماهداكم الله إليه وتقدمتم أمامهم بالعمل لتحملوا نفوسهم عليه. فكما كنتم بقولكم هواة للعقول كنتم بعلمكم حاثين للعزائم والهمم. وكلما كانت آراؤكم ضياء يهتدى به الضالون كان مثالكم في العمل إماما يقتدي به المرشدون،... وإن نفوسنا لشيقة إلى ما يتجدد من آثار قلمكم فيما تستقبلون من أيام عمركم، وإن لنسأل الله أن يمد في حياتكم ويحفظ عليكم قولكم ويفتح أبواب القلوب لفهم ما تقولون ويسوق الناس إلى الاهتداء بكم فيما تعملون والسلام. مفتي الديار المصرية محمد عبده.

وقد رد "تولستوي" على رسالة الشيخ محمد عبده برسالة جاء فيها: صديقي العزيز، لقد تلقيت رسالتكم الطيبة الحافلة بالمديح، وها أنا ذا أسارع بالرد عليها، مؤكدا لكم أولا على السعادة الكبرى التي أعطتني إياها، إذ جعلتني على اتصال برجل متنور، حتى ولو كان ينتمي إلى إيمان يختلف عن إيماني الذي ولدت فيه وترعرعت عليه، ومع هذا فإني أشعر بأن ديننا واحد، لأني أعتقد أن ضروب الإيمان مختلفة ومتعددة، ولكن ليس ثمة سوى دين واحد هو الدين الحقيقي، وإنني لآمل ألا أكون مخطئا إذ افترض، عبر ما يأتي من رسالتكم، بأنني أدعو إلى الدين نفسه الذي هو دينكم، الدين الذي يقوم على الاعتراف بالله وبشريعة الله التي هي حب القريب، ومبادرة الآخر بما نريد من الآخر أن يبادرنا به. إنني لمؤمن بأن كافة المبادئ الدينية الحقيقية تنبع من هذا المصدر،...في النهاية أرجو أن تتقبلوا يا جناب المفتي تعاطف صديقكم ليون تولستوي [١].

هذا النموذج من التسامح أحدث ضجة فكرية في عصره وضرب مثالا للمحبة والتسامح الغير مسبوق. ومما هو جدير بالذكر أن معين الأزهر لا ينضب من المفكرين النابهين والعلماء الأجلاء والمجددين لأمور الدين والدنيا، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك الشيخ محمد متولي الشعراوي، وفي الآونة المعاصرة شيخ الأزهر

(١) - راجع هذه الرسائل على موقع الأهرام : https://surl.li/owhjyl

الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، الذي وقف هو والنخبة من العلماء موقفا إيجابيا ضد العنف والإرهاب وعقد في سبيل ذلك المؤتمرات التي تناقش القضايا المعاصرة محليا وعالميا، وخطى خطوات فعالة في طريق تجديد الخطاب الديني وتطوير المناهج الأزهرية بما يتماشى مع تراكمية المعرفة والثورة التكنولوجية ومفاهيم العولمة.

ثانيا: الرسالة الثقافية للأزهر محليا وعالميا :

رسالة الأزهر الأساسية عبر تاريخه الطويل وحتى الآن هي المحافظة على العقيدة الوسطية وعلى علوم الشريعة ونشرها في أنحاء العالم، وتخريج علماء عاملين حاملين للدين والثقافة الإسلامية، يقول الأستاذ حامد عمار: "إن رسالة الأزهر تتجسد في إعداد المسلم صحيح البدن والوجدان، متكاملا في نموه العقلي والاجتماعي والنفسي، مزودا بتعاليم دينه السمحة، ويتمتع بالمشاركة الإيجابية في بناء وطنه وأمته الإسلامية، فضلا عن احترامه للثقافات والحضارات الأخرى التزاما بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [(١)] ومن ثم تجيء ضرورة التلاقح بين الثقافات والإفادة من علومها، عملا بالقول المأثور: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"، ومن ثم تتوجه كل الأهداف التعليمية من أجل رسالة المؤمن في عمارة الأرض والعيش المشترك على ظهر هذا الكوكب ".[(٢)]

يقول الأستاذ سعيد اسماعيل علي: " إن رسالة الأزهر ليست مجرد الوقوف على الحواشي والشروح والتنبيهات والاعتراضات، وليست كذلك المحاكاة للمعاهد والكليات الجامعية باسم التجديد، بل إن رسالة الأزهر الحقيقية هي رسالة إنشائية إبداعية، لا تفسيرية ولا تقليدية..، بل رسالة خلق وبناء..، فضلا عن صياغة رؤية متكاملة عن الدين والحياة وتنميتها بالبحث والتفكير والدراسة والعيش المشترك على ظهر هذا الكوكب."[(٣)].

(١) سورة الحجرات، آية : ١٣.
(٢) ثقافة الحرية والديمقراطية بين آمال الخطاب وآلام الواقع، حامد عمار، ص٣٨٥، القاهرة، مكتبة الدار العربية، ٢٠٠٧ م.
(٣) تحرير الوطن تحرير التعليم، سعيد اسماعيل علي، ص ١٤٠، القاهرة، عالم الكتب.

والأزهر جامعا وجامعة منوط به حماية الهوية العربية والإسلامية من مخاطر التعصب والتطرف داخليا وخارجيا، ويقوم بهذا الدور وتلك الرسالة في صورة ممارسات عملية واقعية مجموعة من الهيئات والإدارات التي قامت بمواصلة الإنتاج الثقافي وفق منهجية علمية منظمة ومن تلك المؤسسات [1] :

- **مجمع البحوث الإسلامية:** هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، ويقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي، وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويعاون جامعة الأزهر في توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية والإشراف عليها والمشاركة في امتحاناتها، وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون واجبات مجمع البحوث الإسلامية بالتفصيل الذي يساعد على تحقيق الغرض من إنشائه، ومجمع البحوث الإسلامية يؤدي رسالته في إطار الرسالة الشاملة للأزهر الشريف من خلال مجلسه ولجانه وإداراته المتعددة.

- **الإدارة العامة للبعوث الإسلامية:** حيث يقوم الأزهر الشريف بإيفاد بعض علمائه للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية والعربية بدول العالم، وشرح مفاهيم الإسلام الصحيح وتعليم أبنائنا المسلمين في الخارج مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وفرائضه وقيمه وسماحته، وذلك سواء على نفقة الأزهر أو على نفقة الدول الموفد إليها، وقد بلغ عدد الدول التي يوجد للأزهر علماء معارون إليها سبعة وثمانين دولة، ولم يكن هذا الدور الثقافي للأزهر ورجاله وليد اللحظة بل هو ممتد في أعماق الزمن منذ عام ١٨٢٦م حيث شهدت فرنسا صفوف من علماء الأزهر في عهد محمد علي في مقدمتهم رفاعة رافع طهطاوي، والذين عادوا محملين بثقافة الغرب، فحدث نوع من التلاقح الثقافي بين الثقافة الإسلامية والثقافة الفرنسية، الأمر الذي انعكس أثره على جنبات الحياة

(١) ويكبيديا الموسوعة الحرة (٣٠ ١٠ ٢٠١٦)، ص ٧، هيئات الأزهرِ ar.wikipedia.org .Https : //

المختلفة في مصر وتجلى هذا واضحا في المؤلفات العلمية لرفاعة طهطاوي.

- **إدارة إحياء التراث الإسلامي:** تؤدي هذه الإدارة عملها في خدمة كتب التراث الإسلامي، وقد قامت بإصدار التفسير الوسيط للقرآن الكريم، وجاري إصدار موسوعة في الحديث الشريف " جمع الجوامع للإمام السيوطي "، كما تتولى هذه الإدارة سلسلة البحوث الإسلامية، حيث يتم اختيار أفضل الكتب والأبحاث، وطبعها، وإصدار كتاب كل شهر.

- **مجلة الأزهر:** يُصدر مجمع البحوث الإسلامية في مطلع كل شهر هجري مجلة الأزهر، حاملة رسالة الأزهر إلى جماهير المسلمين في الداخل والخارج، ومتابعة لمجريات الأحداث الإسلامية والعربية بدراسات موضوعية وتحليلات علمية.

- **اللجنة العليا للدعوة الإسلامية:** ويناط بها عقد دورات تدريبية للدعاة والوعاظ كل ثلاثة أشهر لتدريبهم على طرق الدعوة وأساليبها، وما يجب أن يتحلى به الداعية من صفات وأخلاق حميدة ومهارات مهنية وعلمية تؤهله لمواكبة التغيرات ومواجهة التحديات وكيفية التعامل معها.

- **الرابطة العالمية لخريجي الأزهر:** لقد تأسست الرابطة كمنظمة غير حكومية مشهرة بجمهورية مصر العربية وفقا للقانون المصري تحت رقم (٧١٤٥) لسنة ٢٠٠٧ **م** الموافق ١٤٢٨ **هـ** على يد مجموعة من كبار العلماء الأفاضل وفي مقدمتهم فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، واستهدفت الرابطة توثيق العلاقات الفكرية والثقافية بين خريجي الأزهر على مستوى العالم، ومد يد العون لهم من خلال الأنشطة والميزات والمنح الدراسية التي تقدمها لهم.[(١)]

- **المراكز الثقافية الإسلامية:** وهي مراكز منتشرة في جميع أرجاء العالم شرقا وغربا، ومن أهم ما تقوم به نشر الدعوة الإسلامية والاهتمام بالثقافة العربية، وخدمة المسلمين والقيام على أحوالهم وشئونهم في متطلبات حياتهم الشخصية

(١) الرابطة العالمية لخريجي الأزهر (٤ نوفمبر ٢٠١٦) التعريف بالرابطة، ص١ ،على الموقع الألكتروني -http ;//www.waag-azhar.org. .

كعقود الزواج والفتاوي الشرعية واستفساراتهم الدينية[١].

- **عقد المؤتمرات السنوية :**حرص الأزهر جامعا وجامعة على تجميع المسلمين من مختلف الأقطار في شبه مؤتمر سنوي لمناقشة القضايا التي تهم العالم الإسلامي والتحديات التي تواجهه، ومن هذه المؤتمرات ما يتعلق بالتسامح وكيفية مواجهة الإرهاب مثل: مؤتمر التسامح في الحضارات الإسلامية (٢٠٠٤ م)، ومؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب (٢٠١٤ م).[٢]

كما يشمل الأزهر على كوادر بشرية في جميع التخصصات العلمية مدربين بأعلى درجة من العلم والتكنولوجيا، من ذلك أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر، ويُعد عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر أحد الأساسية التي تمثل قوة الجامعة ومستواها ونوعيتها ؛ لأن الجامعة تحقق كثيرا من أهدافها المنشودة من خلال أعضاء هيئة التدريس، ومن خلال قيامهم بالمسئوليات الملقاة على عاتقهم، فضلا عن كونه من أهم الركائز التي يُعهد إليها في بناء شخصية الطلاب وتقويم سلوكهم، وتعديل أفكارهم واتجاهاتهم، والأداة الناجحة والمثلى لتقويم مسار وتصحيح المفاهيم ؛ لذا أضحى دوره في تعزيز ثقافة التسامح والتصدي للتعصب والتطرف الفكري لدى الطلاب ضرورة ملحة ومطلبا حيويا في ظل الظروف الحالية والتحديات الراهنة[٣].

وتُخرج جامعة الأزهر طلابا عندهم الوعي الذي يواجه الفكر المتطرف، حاملين الإسلام الصحيح المعتدل، هؤلاء منهم من يُعين معيدا في الجامعة، ومنهم من يُدرس في المعاهد الأزهرية في المراحل المختلفة، ومنهم من يُعين في الإدارات المختلفة سواء في المعاهد أو الجامعة، ومنهم الدعاة الذين يعينون من قبل وزارة الأوقاف، كذلك منهم من يعملون في قطاعات أخرى في الدولة فينشرون ثقافة التسامح التي تعلموها خلال مراحل الدراسة في الأزهر.

---

(١) الدور التربوي لجامعة الأزهر في مواجهة الاختراق الثقافي، سهام الغرباوي مهدي، ص١٨٤، رسالة دكتوراه، كلية التربية جامعة طنطا، سنة ٢٠٠٥ م.

(٢) المصدر السابق، ١٨٥.

(٣) اتجاهات حديثة في التعليم الجامعي، فتحي عبد الرسول محمد، ص٢٠٥، القاهرة، دار جوانا للنشر والتوزيع ،٢٠١٤ م.

يتضح مما سبق أن الأزهر جامعا وجامعة منذ نشأته الأولى قد قام بدور حقيقي وفعال في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية من خلال التصدي لحملات التغريب والغزو الفكري، كذلك واكب الأزهر تطور العصر من خلال العمل المؤسسي في صورة مجموعة من الهيئات والإدارات حملت على عاتقها مواصلة المسيرة في نشر الثقافة العربية والإسلامية الصحيحة بعيدا عن الجمود والتعصب، وعملت على نشر الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل الذي يدعو إلى التسامح مع الآخر والمعاملة معه بالحسنى وإعطائهم حقوقهم التي كفلها الإسلام.

ثالثا: نشر الأزهر لثقافة التسامح :

مؤسسات الأزهر التربوية والاجتماعية تعمل على نشر ثقافة التسامح، حيث إنها تعمل على تنمية شخصية الفرد من جميع جوانبها الجسمية والعقلية والانفعالية والروحية بشكل متكامل ومتوازن، وتمكنه من اكتساب القيم والاتجاهات والمعارف والأنماط السلوكية التي تجعله فردا سويا، تحميه من الانحراف والفساد، والخلل القيمي الذي أوجدته عوامل الهدم في المجتمع.

ويتسم التسامح بالإيجابية والقيم الأخلاقية، ولا يقف الأمر عند حد قبول الآخر، بل يتعدى أكثر من ذلك فيعمل على إعطاء الآخر حق التعبير عن أفكاره وقناعاته التي قد تتناقض مع ما لدينا من أفكار وقناعات، وقد جعل الأزهر ثقافة التسامح منطلق لعلاقات أفراد المجتمع من مسلمين وغير مسلمين، فالجميع له حقوق وعليه واجبات يجب التزام الجميع بها.

وجامعة الأزهر تعمل على تعميق ثقافة التسامح لدى الطلاب من خلال : العمل على إحداث تغيرات وتعديلات جوهرية في المناخ العلمي والفكري والاجتماعي داخل البيئة التربوية، وذلك بنشر القيم الإنسانية والأخلاقية الترابط الاجتماعي والتواصل الثقافي، وتعميم نشر قيم التسامح، وتقبل النقد، وقبول الآخر، واحترام الفكر المخالف، والإقرار بحق الاختلاف، من خلال تهيئة البيئة الملائمة لذلك وقد تبنى الأزهر قيم التسامح من خلال عدة أمور أساسية أقرها الإسلام وهي :

- حرية إبداء الرأي واحترام الرأي الآخر ، وتقبل النقد.

- التعريف بثقافات الشعوب والدعوة إلى تقاربها وتعاونها.
- الدعوة إلى السلام العالمي، ونبذ أسباب الحروب والصراعات.
- تنمية وعي الأفراد بسلسلة الحقوق والواجبات، وتوسيع آفاقهم المعرفية.
- إكساب الأفراد القدرة علي التعايش مع من يختلفون عنهم في اللون أو الشكل أو الدين أو الجنس، والوعي بمبادئ الإنسانية المشتركة التي تجمعنا بغض النظر عن الفروق العرقية أو غيرها من فروق.

وقد تبلورت كل قيم التسامح في وثيقة الأخوة الإنسانية التي وقعها الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مع البابا فرنسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية، وجاء في هذه الوثيقة " باسم الله الذي خلق البشر جميعا متساوين في الحقوق والواجبات والكرامة، ودعاهم للعيش كإخوة فيما بينهم ليعمروا الأرض، وينشروا فيها قيم الخير والمحبة والسلام، باسم النفس البشرية الطاهرة التي حرم الله إزهاقها، وأخبر أنه من جنى على نفس واحدة فكأنما جنى على البشرية جمعاء، ومن أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا،... باسم الأخوة الإنسانية التي تجمع البشر جميعا، وتوحدهم وتسوي بينهم، باسم تلك الأخوة التي أرهقتها سياسات التعصب والتفرقة، التي تعبث بمصائر الشعوب ومقدراتهم،... باسم الحرية التي وهبها الله لكل البشر وفطرهم عليها وميزهم بها، باسم العدل والرحمة، أساس الملك وجوهر الصلاح، باسم كل الأشخاص ذوي الإرادة الصالحة في كل بقاع المسكونة، باسم الله، يعلن الأزهر - ومن حوله المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها - والكنيسة الكاثوليكية - ومن حولها الكاثوليك من الشرق والغرب - تبني ثقافة الحوار دربا، والتعاون المشترك سبيلا، والتعارف المتبادل نهجا وطريقا".[1]

فهذه الوثيقة جاءت تطبيقا لقيم التسامح وقبول الآخر في الإسلام، وقد حمل الأزهر على عاتقة تنفيذ تعاليم الإسلام، فكانت الوثيقة دليلا على دور الأزهر في العصر الحالي كما كان دائما حاملا لقيم الإسلام ومنها نشر الأمن والتسامح في

(١) راجع وثيقة " الأخوة الإنسانية " وتناهي " صراع الحضارات "، الأب بشار إيليا، المجلد ٤٢، العدد ٤٩٠، الناشر مركز دراسات الوحدة العربية، سنة ٢٠١٩ م.

المجتمع والدعوة إليها والحث عليها، فقد قام الأزهر الشريف بهذا الدور عبر تاريخه وإلى الآن وسيستمر بإذن الله تعالى منارة لنشر العقيدة الوسطية والفكر المعتدل الداعي إلى الأمن والسلام في المجتمع بل في العالم كله.

الخاتمة

- تعاني المجتمعات الإنسانية من تفاقم مظاهر التعصب الناشئ عن موجات الصراع الطبقي والاجتماعي ؛ الأمر الذي أحدث خللا في منظومة القيم والأسس التي تحكم العلاقة مع الآخر والتعايش معه لدرجة إقصائه فكريا، وسياسيا، ودينيا، ولذا فإن العالم اليوم يحتاج إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي أكثر من أي وقت مضى ؛ ومن هنا حظي مفهوم التسامح باهتمام كبير، على أساس أنه يعمل على تماسك المجتمعات وتوازنها، فضلا عن كونه يساعد على شيوع التفاهم والتآزر بين أفراد المجتمع حتى يتمكنوا من النهوض بأعباء الحياة وتحقيق غاياتها وأهدافها.

- تعد ثقافة التسامح ذات أهمية للفرد والمجتمع في جوانب عديدة، خلاصتها أنها ركيزة العيش المشترك في ظل مجتمع يتسم بالتعددية في كل شيء، كذلك فهي بمثابة الرد الأخلاقي على التعصب المذموم بجميع أشكاله حتى لا يصل إلى حد العنف والتطرف، فضلا عن كونها الإمكانية الوحيدة لضبط الاختلافات والتباينات الداخلية في المجتمع اللإسلامي، وبدونها تدخل الأوطان في أتون الفتنة والصراعات، هذه الثقافة قادرة على وقف الانهيارات الاجتماعية والسياسية، ومحاصرة الاحتقانات التي تؤدي إلى التوتر والعنف في المجتمع.

- والإسلام يؤمن بمبدأ التعايش السلمي وقبول الآخر، ويؤكد على التجاوب مع ثقافات الشعوب، والعيش المشترك، وهي منطلقات مستمدة من قواعد كبرى واضحة في تعاليم الإسلام وعقيدته قرآنا وسنة وأثرا، كون السلام في الإسلام هو أصل العلاقات بين الأفراد والجماعات والدول.

- تشير القرائن والأدلة القرآنية والتاريخية إلى أهمية منهج التعايش السلمي في الإسلام وسعته في تقبل الاختلاف والتنوع واحترام الآخر وصيانة حقوقه، وإظهار رفض الإسلام لكل أشكال العنصرية بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو غيرها من المميزات غير الاختيارية، ويبين التصور الإسلامي رفضه لتسويغ العنف أو ممارسته ضد الآخر، فإن مبادئه ترتكز على تحقيق مبدأ التعايش السلمي مع الآخرين خاصة بعد توضيح بعض أحكام الإسلام في مفهوم

التعايش السلمي.

- إن التعايش السلمي بين الأطراف المختلفة في الإسلام جزء من الدين، فهو يرتبط بالوازع الديني، وبمراقبة الله عز وجل، وأن يمارسه المسلم بدافع التقوى، والإيمان بالله عز وجل.

- المسلمون في الوطن الواحد يتعايشون مع الآخر في حدود الوطن الواحد، وتعد الوطنية في المنظور الإسلامي " مجموعة العلاقات والروابط والصلات التي تنشأ في دار الإسلام وكل من يقنط في هذه الدار، سواء كانوا من مسلمين أو ذميين أو مستأمنين، أي مجموعة الحقوق والواجبات التي يتمتع بها كل طرف من أطراف العلاقة، وقد جاء الإسلام ليعزز من حقوق الروابط البشرية الوراثية منها والمكتسبة، مثل: رابطة الإنسانية، ورابطة الرحم، ورابطة الأبوة والبنوة، ورابطة الوطن الواحد، ورابطة الجوار، وحقوق الضيف وإن كان من فئة الآخر.

- إن اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم سنة قدرها الله وقضاها الله، فقد منح الله تعالى الإنسان حرية الاختيار، وقد جعل الله في قلوب المسلمين متسعا للتعايش مع بني الإنسان كافة، فمن باب أولى أن يتسع للتعايش بين المؤمنين بالله، ويشهد التاريخ أن معاملة المسلمين لغيرهم في البلاد المفتوحة كانت مثالا عظيما من التسامح لامثيل له في التاريخ، وقد قامت الحضارة الإسلامية عبر العصور على أساس متين من التسامح والتعايش مع أهل الديانات والملل والعقائد في البلدان التي فتحوها خلال قرون طويلة وعهود مديدة، ويدل ذلك على أن التعايش السلمي مبدأ من المبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية.

- ضمِن الإسلام حقوق المواطنين في الدولة الإسلامية، ويتمتع الجميع بكل الحقوق، مثل حق الحماية: كحماية النفس والعرض والسكن والمال، وحق التعليم، وحق العمل والكسب، كذلك الجميع عليهم واجبات ناحية الوطن.

- الإسلام يكرم الإنسان كل الإنسان بصفة عامة دون تفرقة سواء كانت هذه التفرقة بناء على الدين أو اللون أو الجنس أو العرق أو غير ذلك، وأمر

بالمساواة والعدل، وحرم الظلم.

- قرر الإسلام حرية الإنسان، وكفل الضمانات لذلك، والحرية هي أكبر مظاهر الكرامة الإنسانية، والحرية تشمل حرية الاعتقاد، وحرية الفكر، وحرية الكلمة، وحرية التصرف، فالأساس في الإيمان والكفر هو الحرية الإنسانية الكاملة بلا وصاية ولا إكراه، وبناء على الاختيار تكون المسئولية أمام الله يوم القيامة.
- إن التعايش السلمي في الإسلام حقيقة راسخة، أكدته نصوص القرآن، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وفصول التاريخ الإسلامي وأحداثه، والتعايش السلمي في قيم الإسلام العليا يتضمن العيش مع الآخر بجميع أشكال التفاعل والتعاون وحسن المعاملة والتسامح والرحمة والقبول، مما يؤكد أن رسالة الإسلام رسالة إنسانية عالمية ربانية، رسالة سلام وتعايش.
- والأزهر الشريف باعتباره حامل لواء الإسلام إلى كل شعوب الأرض له دور تاريخي في نشر المنهج الوسطي المعتدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ونشر الأمن والتسامح في المجتمع، وقد قام الأزهر بمسؤلياته ومارس نشاطه في مواجهة التطرف، لعل من هذه الأنشطة عقد العديد من المؤتمرات واللقاءات الحوارية مع الشباب داخل مصر وخارجها بهدف مكافحة التطرف ونشر ثقافة التعايش السلمي مع الآخر سواء كان من المسلمين المختلفين فكريا أو مذهبيا، أو الآخر من غير المسلمين.
- الأزهر في الوقت المعاصر بقياد الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، يقوم بأدوار عديدة لنشر الأمن والتسامح في المجتمع الإسلامي، وكذلك نشره بين الدول الإسلامية والدول الأخرى، من ذلك: وثيقة الأخوة الإنسانية وهي وثيقة عالمية بين الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقداسة البابا فرانسيس بابا الفاتيكان، وكان لها دور فعال في نشر الأخوة والتسامح، ومنها أيضا "بيت العائلة" وهو مؤسسة مصرية رائدة توحد صفوف المصريين في وحدة رائعة بين المسلمين والمسيحيين، وقد أسهمت تلك الجهود في نشر ثقافة الحوار والتفاهم، والتعارف المتبادل والعيش المشترك، وقبول الآخر.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر خلال كلمته باحتفالية اليوم الدولي للأخوة الإنسانية، أن " وثيقة الأخوة الإنسانية " لاتزال وستظل تمثل بادرة أمل للخروج من "الأزمة" الإنسانية، التي يمر بها عالمنا اليوم، وذلك لما تتضمنه من التذكير بضرورة العودة إلي رحاب الإيمان بالله، وبتعاليم الأديان التي حملها الرسل والأنبياء إلى البشرية جميعا، والتي تدور على معنى التسامح والتعايش والسلام، والتأكيد على أهمية الحوار بين الأديان، وانفتاح الثقافات وتلاقحها، وذلك في سياق إنساني بحت يرسخ حق الاختلاف على مستوى الفرد في سياق مصلحة الإنسان، وحقه في العيش الكريم الآمن ".

فهرس المراجع والمصادر

١ - القرآن الكريم

٢ - اتجاهات حديثة في التعليم الجامعي، فتحي عبد الرسول محمد، القاهرة، دار جوانا للنشر والتوزيع، ٢٠١٤ م.

٣ -أحكام الذميين والمستأمنين في بلاد الإسلام، د. عبدالكريم زيدان، مكتبة القدس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢ م.

٤ - أحكام القرآن، ابن عربي، ج١، ط١، دار الكتب العلمية.

٥ - أحكام أهل الذمة، ابن القيم، المحقق: يوسف بن أحمد البكري، أحمد بن توفيق العاروري، ج١، الناشر: رمادي للنشر، الدمام، ١٤١٨ هـ _ ١٩٩٧ م.

٦ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٧ - أخبار عمر، الشيخ علي الطنطاوي، ط١، بيروت، ١٤٠٣ هـ _ ١٩٩٣ م.

٨ - الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٣ هـ.

٩ - الأزهر جامع وجامعة، محمد عبد العزيز الشناوي، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٠ - الأزهر في ألف عام، محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٨ م.

١١ - الاستذكار، ابن عبد البر النمري(أبو عمر يوسف بن عبدالله) تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ _ ٢٠٠٠ م.

١٢ - الإسلام والرد على منتقديه، الإمام محمد عبده، المكتبة التجارية، مصر، ط١٣٤٦ هـ

١٣ - الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقبق: علي محمد البحراوي، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٤١٢ هـ _ ١٩٩٢ م.

١٤ - الإلام بناقب الإسلام، أبي الحسن محمد بن يوسف العامري، المحقق: أحمد

عبدالحميد غراب، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٨ م.

١٥ - الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي، جبر دندل، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٢ م.

١٦ - أهل الذمة في الإسلام، أ. ترتون، ترجمة وتعليق: حسن حبشي ،دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٧ م.

١٧ - تاريخ الأمم والملوك، الطبري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩ م.

١٨ - تاريخ الفكر المصري الحديث ،لويس عوض، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.

١٩ - تحرير الوطن تحرير التعليم، سعيد إسماعيل علي، القاهرة، عالم الكتب.

٢٠ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م.

٢١ - الترغيب والترهيب، عبدالعظيم المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ج٤، ط١، دراسة الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ.

٢٢ - التسامح وتجلياته في الفكر العربي الحديث، صباح حمودي نصيف، محمد عبده انموذجا، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، العراق، ٢٠١٤ م.

٢٣ - التعريفات، الجرجاني، مصطفى البابي الحلبي، طبعة ١٣٥٧ هـ _ ١٩٣٨ م.

٢٤ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. وطبعة أخرى: دار المعارف، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩١٨ م.

٢٥ - ثقافة الحرية والديموقراطية، حامد عمار، القاهرة، مكتبة الدار العربية، ٢٠٠٧ م.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، صححه: الشيخ هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٧ - حاضر العالم الإسلامي، لوثر وب استودارد، ترجمة: عجاج نوهيضي، ج١، دار الفكر، لبنان، ط٣، ١٩٦١ م.

٢٨ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر، آدم متز، نقله للعربية: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩ م.

٢٩ - دلائل النبوة، البيهقي، المحقق: عبدالمعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للترات، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٠ - دور الأزهر الثقافي والعلمي في العالم الإسلامي، مصطفى محمد رمضان، القاهرة، ١٩٩٧ م.

٣١ - دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني، عبدالجواد صابر اسماعيل، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٦ م.

٣٢ _ الدور التربوي في جامعة الأزهر في مواجهة الاختراق الثقافي، سهام العرباوي مهدي، رسالة دكتوراه بكلية التربية جامعة طنطا، سنة ٢٠٠٥ م.

٣٣ - الدولة وسياسة الحكم في الفقه الإسلامي، أحمد الحصري، ج٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٤ - سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٣٥ - السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدالحفيظ الشلبي، الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

٣٦ - شرح مشكل الآثار، الطحاوي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥ هـ _ ١٠٠٤ م.

٣٧ - صحيح البخاري، اسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى الديب البغا ،ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، وطبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨ - صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي.

٣٩ - العلاقات الدولية في الإسلام، الشيخ أبو زهرة، دار الفكر العربي، ٢٠١٧ م.

٤٠ - العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، تأليف لجنة من أساتذة الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٤١ - عيون الأخبار، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

٤٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، بيت الأفكار الدولية ،لبنان ،٢٠٠٤م.

٤٣ - فتح القدير، الشوكاني، تحقيق: فريال علوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٩ م.

٤٤ - فتح القدير على الهداية، كمال الدين بن الهمام، الناشر: مكتبة ومطبعة مصفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م.

٤٥ - الفروق، القرافي، ج٣، عالم الكتب، بيروت.

٤٦ - في النظام السياسي للدولة الإسلامية د. سليم العوا، دار الشرق، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٧ - الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المجرد، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٨ - كتاب الخراج، أبو يوسف يعقوب الأنصاري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.

٤٩ – لا تحزن، عائض القرني، مكتبة العبيكان، مكتبة ابن حزم، ١٤٣٤ هـ.

٥٠ - لسان العرب، ابن منظور، ط١، دار صابر، بيروت.

٥١ - مجموع فتاوى، ابن تيمية، المحقق: عامر الجزار، أنور الباز، الناشر دار الوفاء، ٢٠٠٨ م.

٥٢ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، بيروت، ط ٧، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٣ - مختار الصحاح ،الرازي، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٥٤ - مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

٥٥ - مسند الترمذي، الإمام الترمذي، دار الكتب العلمية.

٥٦ - المصنف، ابن أبي شيبة، دار الفكر، ١٩٩٤ م.

٥٧ - معاملة غير المسلمين في الإسلام، علي الصّوا، ج١، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، مآب، الأردن.

٥٨ - المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٥٩ - المغني، ابن قدامة، تحقيق: طه الزيني، وآخرون، الناشر: مكتبة القاهرة، ط١، ١٣٨٨ هـ.

٦٠ - من أصول الفكر السياسي في الإسلام، محمد فتحي عثمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٤ م.

٦١ - موسوعة أخلاق القرآن، حسين نجيب محمد، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٠٠ م.

٦٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية، تأليف مجموعة من العلماء، ج١٩، ط٢، الكويت: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٦٣ – موقع الأهرام https://surl.li/owhjyl

٦٤ - موقع الرابطة العالمية لخريجي الأزهر https://waag-azhar.org/

٦٥ – موقع العربية https://surl.li/cskbnr

٦٦ - نصب الراية لأحاديث الهداية، الزيلعي، ج٦، دار الأحاديث، ط١، ١٤١٥ هـ _ ١٩٩٥ م.

٦٧ - نظام السلم والحرب في الإسلام، د. مصطفى السباعي، دار الوراق، الرياض، ط٢، ١٩٩٨ م - ١٤١٩ هـ.

٦٨ - نيل الأوتار، الشوكاني، دار الحديث، ط١، ١٤١٣ هـ _ ١٩٩٥ م.

٦٩ - وثيقة الأخوة الإنسانية وتناهي صراع الحضارات، الأب بشار إيليا، المجلد ٤٢، العدد ٤٩٠، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٩ م.

٧٠ - ويكبيديا الموسوعة الحرة، هيئات الأزهر https://ar.wikipedia.org/wiki

---

فهرس الموضوعات

ملخص البحث:.....٥٦٣
مقدّمة.....٥٦٧
المبحث الأول: الإسلام يؤسس للتعايش السلمي مع غير المسلمين.....٥٧٠
المطلب الأول: أسس التعامل بين الناس في الإسلام.....٥٧١
المطلب الثاني: قيم الإسلام تؤسس للتعايش مع الآخر.....٥٨٣
المبحث الثاني: أحكام التعامل مع غير المسلمين في بلاد المسلمين.....٥٩١
المطلب الأول: حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام.....٥٩٢
المطلب الثاني: الأمور الواجبة على غير المسلمين في الدولة الإسلامية.٦٠٣
المبحث الثالث: الوسطية في الإسلام وتبني الأزهر لمنهج الوسطية.....٦١٥
أولا: وسطية الإسلام :.....٦١٥
ثانيًا : الأزهر ودوره في نشر الوسطية:.....٦١٨
المبحث الرابع: فلسفة التسامح في الخطاب الديني للأزهر عبر العصور.....٦٢٣
أولا: إسهامات علماء الأزهر في نشر ثقافة التسامح :.....٦٢٣
ثانيا: الرسالة الثقافية للأزهر محليا وعالميا :.....٦٢٦
ثالثا: نشر الأزهر لثقافة التسامح :.....٦٣٠
الخاتمة.....٦٣٣
فهرس المراجع والمصادر.....٦٣٧
فهرس الموضوعات.....٦٤٣